

الثلاثاء ١٤٢٤هـ

كوكب  
١٤٢٤

# قلعة الأسرار

وقصص أخرى

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

نيسان فاروق

28

# Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت : ٢٩٠٨٢٥٥ - ٢٩٠٨٢٥٤ - ٢٩٦١٩٧

فاكس : ٢٩٧٠٠٤



## التماس

( قصة قصيرة )

سيادة النائب العام ..

مقدمه لسيادتكم السجين ( م . م . )

لا يمكن لسيادتكم أبداً أن تتصور مدى ما أشعر به من حرج ،  
وأنا أكتب لك هذه الرسالة ، من سجن ..... ، حيث أقضى  
فترة عقوبة ، قدرها عام واحد ؛ بسبب حادثة سرقة ، ألفت بي  
هنا ، منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر ...

وأنا واثق من أن أول ما سيخطر ببالك ، يا سيادة النائب  
العام ، هو أنني أتقدم بهذا الالتماس للإفراج عني ، مدعياً أنني  
مظلوم ، كما تقول معظم الالتماسات ، التي تصلك في المعتاد ..  
ولكن هذا غير صحيح ...

.....  
● مع بدء العد التنازلي ، نحو القرن الحادي  
والعشرين ..

● مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..

● مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

● مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب  
إلى المعرفة ..

● إلى الحضارة ..

● إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

.....

فأنا يا سيادة النائب العام مذنب ...  
مذنب ، بكل ما تحمله الكلمة من معان ....  
ولكننى لست مجرماً ....  
وهنا تكمن المشكلة ....  
أو القضية ، كما أحب أن أسميها ....

لقد ارتكبت جريمة السرقة هذه ، بسبب رفاق السوء  
( كما كان أبى يطلق عليهم ، ويا ليتنى استمعت إليه حينذاك ) ..  
لقد تحالفوا مع الشيطان ؛ ليزينوا لى الأمر ، ويقتعونى بأن  
ارتكاب الجريمة ينقلنى من عالم الصغار إلى عالم الكبار ، وأنه  
جواز مرورى إلى الزعامة والاستقلال ..  
وصدقتهم ....

وكانت هذه هى النتيجة ....  
السقوط ، والفضيحة ، والمحاكمة ، والعار ...  
ثم السجن ...

وعلى الرغم من كل المشاعر التى انتابتنى ، وأنا أدخل  
السجن لأول مرة ، إلا أن شيئاً مما شاهدته داخله لم يكن يخطر  
ببالى ، أو يراودنى حتى فى أشجع كوابيسى ..  
لقد وجدت نفسى فى عالم عجيب ، مخيف ، أكثر بشاعة  
ألف مرة ، من كل ما يتصوره من بخارجه ...  
عالم كل لحظة فيه تكفى لإفساد كل شىء جيد ، فى أى  
مخلوق حتى ....

وحديثى هذا لن يروق للمسئولين عن السجون ، وسينفونه  
بشدة ، ويستنكرون ما أقوله ، وسيؤكدون أن كل شىء على  
ما يرام ، وليس فى الإمكان أفضل مما كان ، تبعاً لنظرية إخفاء  
الرأس فى الرمال ، ما دامت الكارثة لم تحدث بعد ..

ولأننى لست مجرماً بطبعى ، ومعدنى طيب كما يقولون ، فقد  
هالنى ما رأيته فى السجن ، وارتعت لما سينول إليه حالى فيه ...  
ففى السجن يا سيدى تنتشر كل أنواع الجرائم ، بأكثر  
مما يحدث خارجه ..

المسرفة .. القتل .. النصب .. تجارة المخدرات ، وغيرها  
مما لم ولن يخطر ببالكم قط ، ما دمتم خارج أسواره ..  
وبنظرة موضوعية ، صنعتها أيام السجن ، الممزوجة بالهلع  
والذعر والارتياح ، أدركت أننى ، وإن كنت لم أدخل السجن  
مجرماً ، فسأخرج منه كذلك بالتأكيد .. فهنا إما أن تصبح ذنباً ،  
أو تأكلك الذئاب ...

وذئاب السجن ، إن لم تكن تدرى يا سيدى ، أكثر وحشية  
وشراسة ألف مرة ، من ذئاب البرية ...

بل قد تجد بعض الرحمة فى ذئاب البرية ...  
ولكنك حتماً لن تجدها عند ذئاب السجن ..

لذا ، فقد وجدت نفسى أتساءل يا سيادة النائب العام ، لماذا  
لا تنفذون فى حكم الشريعة ؟

لقد سرقت ، واعترفت بذلك ، فلم لا تقطعون يدي ؟



## اختبر معلوماتك

مرحباً ..

مرة أخرى نلتقى ( كالمعتاد ) ، في هذا الباب الخاص ..

جداً ..

وكما اعتدنا ، سيكون عليكم أن تقرءوا الأسئلة ، وتبحثوا

عن الجواب الصحيح لكل سؤال ..

والغش في هذا الاختبار مقبول ..

بل ومطلوب ..

ابحثوا عن الأجوبة في أي كتاب ..

أو مجلة ..

أو موسوعة ..

ابحثوا عبر الكمبيوتر ..

وقنوات المعلومات ..

والإنترنت ..

أرجوك يا سيادة النائب العام ..

أرجوك ..

أرجوك ..

أقم على الحد ، الذي أقره الله ( سبحانه وتعالى ) ...

اقطعوا يدي ..

بل يدي الأثنتين ..

ولكن لا تضعوني في السجن ..

لا تصنعوا مني مجرماً ..

صدقني يا سيدي ، إنكم بهذا توفرون كل ما تنفقونه على

المسجونين من أموال دافعي الضرائب ، وترهبون اللصوص

والمجرمين ، وتقللون معدلات الجريمة .. والأهم من هذا ، أنكم

ستنفذون شرع الله ( سبحانه وتعالى ) ..

ولهذا يا سيدي ، ولكل ما سبق ، فأنا أتمس منك الرحمة ..

ارحمني يا سيدي واقطع يدي ، جزاء ما افترفته ..

ولكن أخرجني من هذا الجحيم ، الذي تطلقون عليه اسم

السجن ..

أرجوك يا سيادة النائب العام ..

أرجوك ألف مرة .

المعذب ( م . م . )

★ ★ ★

المهم في النهاية أن تحصلوا على الجواب ..  
والأكثر أهمية أن تعتادوا هذا المنهج العلمي للبحث ..  
وأن تعتادوا السعي للبحث عن جواب لكل سؤال ..  
ليس في هذه المسابقة التقليدية فحسب ..  
ولكن في كل مجالات الحياة ..  
هذا لتصبحوا بالفعل .. مثقفين ..  
فهل ترغبون في أن تصبحوا كذلك !؟  
هل !؟

★ ★ ★

١ - فيلسوف ورياضي إنجليزي ، من ممثلي الواقعية الجديدة ، ورائد المنطق الرمزي ، اهتمم بالتحليل المنطقي للمفاهيم الفلسفية ، له إنتاج غزير في فروع فكرية شتى ، اشتهر بدفاعه عن السلام ، ونال جائزة نوبل في الأدب ، عام ١٩٥٠ م ، وهو :

□ برناردشو . □ برتراند راسل . □ أرنولد توينبي .

٢ - عشائر الهنود الحمر ، التي كانت تسيطر على المكسيك الوسطى ، في زمن الفتح الأسباني ، جاءوا من الشمال ، في القرن الثاني عشر ، وأسسوا عاصمتهم ( ثينوشيتلان ) ، وهي في موقع مدينة ( المكسيك ) الحالية ، وهم :

□ الأزتك . □ البوربون . □ الهورلاندي .

٣ - نبات ثنائي الحول ، اسمه العلمي ( كارام كارفي ) ، من الفصيلة الخيمية ، موطنه ( أوروبا ) و ( آسيا ) ، ويزرع لبذوره العطرية ، التي تستخدم لأغراض طبية ، وتكسب الحلوى نكهة طيبة ، كما تستعمل شراباً .

□ الكركديه . □ الكراوية . □ الكمون .

٤ - ( تشارلز داروين ) عالم إنجليزي شهير ، درس الطب في ( أدنبره ) ، ثم لم يلبث أن تركه ليدرس العلوم ، حيث شغف بالتاريخ الطبيعي ، ووضع نظرية شهيرة عن التطور عُرفت باسمه ، ولقد وضع نظريته هذه في كتاب بعنوان :

□ التطور والوراثة . □ الإنسان والقرود . □ أصل الأنواع .

٥ - من كبار الملحنين المصريين ، ولد عام ١٨٩٣ م ، وتوفي عام ١٩٢٣ م ، بدأ حياته بتلاوة القرآن الكريم ، وإنشاد الموشحات والقصائد النبوية ، سافر إلى ( حلب ) ، وعاد حاملاً الكثير من غناء أهل الشام ، ومن أشهر رواياته الغنائية ( شهرزاد ) ، و ( الباروكة ) ، و ( العشرة الطيبة ) ، وهو :

□ سيد درويش . □ سلامة حجازي . □ عبده الحامولي .

٦ - عنصر فلزي ، رخو ، فضي ، شديد النشاط ، حتى إنه يحفظ مغموراً في الكيروسين أو زيت البرافين ؛ لعزله عن الهواء .. ليست له قيمة تجارية عالية ، ولكن مركباته واسعة الاستعمال ، يتحد مباشرة مع عدد من العناصر اللافلزية ، وتوجد بعض مركباته في الطبيعة ، وهو :

□ المغنسيوم . □ البوتاسيوم . □ الفسفور .

٧ - أرخبيل من حوالى سبعمائة جزيرة ، تبعد ٨٠ كم عن الساحل الجنوبي الشرقى لـ (فلوريدا) ، وهو مستعمرة إنجليزية عاصمتها (ناساو) ، بجزيرة (نيوبروفيدنس) ، استوطنها الإنجليز من القرن السابع عشر ، واستخدمت كقواعد عسكرية ، فى الحرب العالمية الثانية ، واسمها :

□ جزر القمر . □ هاواى . □ جزر بهاما .

٨ - روائى إنجليزى ، يعد من أشهر الكتاب الإنجليز ، فى العصور الحديثة ، من أشهر رواياته : ( أوليفر تويست ) ، و ( دافيد كوبرفيلد ) ، و ( أوقات عصيبة ) ، وتتميز رواياته بوصفه الدقيق للشخصيات ، وبعرضها الثرى للحياة الإنسانية ، وهو :

□ تشارلز ديكنز . □ ارنست هيمنجواى . □ أليكسندر سيلكريك .

٩ - نبات عطري ، اسمه العلمى ( كروكس ساتيفس ) ، يزهر فى الخريف ، وله أزهار بيضاء أو بنفسجية ، يزرع لاستخدامه فى الطب وصناعة العطور ، وهو :

□ الفل . □ الورد . □ الزعفران .

١٠ - ثالث الخلفاء الراشدين ، يلقب بذي النورين ؛ لأنه تزوج من اثنتين من بنات الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ، ( رقية ) و ( أم كلثوم ) ، أموى ، من فرع ( أبى العاص ) ، كان من السابقين إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، ( الحبشة ) و ( المدينة ) ، وهو :

□ أبو بكر الصديق . □ عثمان بن عفان . □ على بن أبى طالب .

١١ - ( كوريل درو ) ، واحد من أشهر برمجيات الرسوم الإلكترونية فى العالم ، التى تعتمد على نظام ( فيكتور ) ، التى تحتاج إلى أقل قدر من المعلومات ، لصنع الرسوم ، ويستخدمه ما يقرب من ثمانين فى المائة من المحترفين فى العالم ، ولقد نشأ فى :

□ أمريكا . □ كندا . □ اليابان .

١٢ - ( كونان ) ، شخصية روائية شهيرة ، لمقاتل همجى ، من عصور ما قبل التاريخ ، مغامراته هى مزيج من البطولة والخيال والفتازيا ، ولقد صدرت له عدة مجلات مصورة ، كما قدمتها السينما العالمية فى فيلمين شهيرين ، بطولة :

□ أرنولد شوارزينجر . □ فان دام . □ سيلفستر ستالون .

١٣ - طائر جارح ، قريب الصقر والعقاب ، يطير برشاقة ، ويحوم فى دوائر ، ولا يحرك جناحيه إلا قليلاً ، يأكل الفضلات والجيف وصغار الدجاج ، ويخطف بعض المأكولات ، وهو :

□ البومة . □ الغراب . □ الحدأة .

١٤ - صخر رسوبى ، يتركب أساساً من كربونات الكالسيوم ( الكلسيت ) ، يتكون من تراكم وتصلب هياكل الحيوانات واللافقاريات البحرية ، أو بالترسيب الكيماوى ، وهو أحد المواد الأساسية فى صناعات البناء ، وهو :

□ الرخام . □ الحجر الجيرى . □ الأسمت .

١٥- وال وخطيب عربي ، ولد ونشأ بالطائف ، وانتقل إلى ( الشام ) ، ولأه ( عبد الملك بن مروان ) بلاد الحجاز ، ثم ولأه على ( العراق ) ، حيث خطب خطبة شهيرة ، عنف فيها أهل العراق ، وهددهم بالويل والثبور ، وهو :

□ الحجاج بن يوسف الثقفي .

□ عمار بن ياسر .

□ معاوية بن أبي سفيان .

١٦- شخصية ثابتة في مسرحيات ( كوميديا الفن ) ، في القرنين السادس عشر ، والسابع عشر ، وهو رجل أسباني ثري ، يرتدى السواد دائماً ، وهو مدع كاذب ، لم يلبث أن ظهر بكثافة فيما بعد ، في المسرحيات لهزلية لفرنسية ، والأدوار الصامتة الإنجليزية ، وهو :

□ سكاراموش . □ فانتوماس . □ روكامبول .

١٧- مادة حلوة بيضاء اللون ، بلورية ، تحضّر من التولوين بعدة عمليات ، ليست لها قيمة غذائية ، ولا تعطى سعرات حرارية ، على الرغم من أن حلاوتها تفوق حلاوة سكر القصب بأربعمئة مرة ، وهذه المادة هي :

□ السكروز . □ السكرين . □ سكر العنب .

١٨- من أشهر رسامي الفانتازيا والخيال ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، من أشهر أعماله أغلفة سلسلة القصص المصورة الشهيرة ( طرزان ) ، يعتبر من أعلى رسامي العالم سعراً ، ويعتمد في رسومه على الصور الضوئية ، التي يلتقطها بنفسه ، وهو :

□ بوريس فاليجو . □ فرانك فرازيتيا . □ سلفادور دالي .

١٩- عشب حولي قائم ، اسمه العلمي ( كوركورس أوليثوريس ) ، من الفصيلة اليزيفونية ، موطنه ( الهند ) ، تؤكل أوراقه مطبوخة ، طازجة أو مجففة ، وهي غنية بالفيتامينات ، وتعتبر من أهم الخضر الصيفية ، وتتكاثر بالبذور ، وهذا العشب هو :

□ الكزبرة . □ الجرجير . □ الملوخية .

٢٠- ( باتمان ) ، واحد من أشهر الشخصيات الخيالية عبر التاريخ ، وله عدة حلقات تليفزيونية ، وأفلام سينمائية معروفة ، إلى جانب عدة سلاسل من القصص المصورة ، تصدر بست عشرة لغة ، ومبتكر هذه الشخصية هو :

□ ادجار رايس باروز . □ بوب كين . □ جيري سيجال .

★ ★ ★

ومرة أخرى أكرّر ..

مسابقتنا ليست اختباراً مدرسياً ..

روايات مصرية للحيث

كوكب  
٢٠٠٠



السيف

المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
١٩٧١١٧ - ١٩٧١١٧ - ١٩٧١١٧  
القاهرة - ١٩٧١١٧

إنها مسابقة الكتاب المفتوح ..  
ابحث ..  
اقرأ ..  
استعن بأي مرجع تشاء ..  
فالمهم في النهاية ليس أن تربح مسابقة ..  
المهم هو المعرفة ..  
والأهم أن يمكنك دوماً إجابة السؤال الشهير ..  
هل أنت ..... مثقف؟!!

★ ★ ★



الصحراء ، وقبل أن يبلغ منطقة النخيل ، لاح من بعيد فارس آخر قادم من الواحة ، على متن جواد أدهم .

فقال الفارس الأول لجواده ، وكأنه يتحدث إلى صديق عزيز :  
- يبدو أنه هناك رسالة عاجلة يا صديقي .

بلغهما الفارس الآخر ، وهتف :

- ( حازم ) .. شيخ القبيلة يطلب رؤيتك على الفور .

سأله ( حازم ) ، وهو يعدل صيده فوق جواده :

- أهنك أمر عاجل ؟

أوما الفارس الآخر برأسه إيجاباً ، وقال :

- بالتأكيد .. ولكن الشيخ لن يخبرنا كما تعلم .

ابتسم ( حازم ) ، وقال :

- نعم .. أعلم يا صديقي .. أعلم .

ولكز بطن جواده بكعبه ، مستطرداً في حسم :

- استدر واتبعني إذن .. سنعود إلى الواحة معاً .

انطلقا متجاورين .. في طريق العودة إلى الواحة ، وعقل

( حازم ) لا يحمل سوى فكرة واحدة ، ملأت كيانه كله ..

ما دام الشيخ يطلبه على هذا النحو ، فهناك أمر عاجل

حتماً ..

عاجل وخطير ..

كان زعيم القبيلة الشيخ يجلس في وقار ، داخل خيمته

## السيف ..

انطلق سهيل جواد عربي أصيل ، يركض فوق رمال الصحراء ، وعلى متنه فارس شاب ، تجاوز سنوات عمره العشرين بعام أو يزيد ، وسيم المحيا ، متين البنيان ، يطارد غزالاً شاردًا ، انطلق يعدو أمامه . محاولاً الفرار ، لولا أن التقط الفارس قوسه ، ودس في وتره سهمًا طويلًا ، صوبه في ثبات إلى الغزال المنطلق ، على الرغم من اهتزاز جواده ، ثم أطلقه ، ورمى به الغزال في مقتل ، وهتف بجواده :

- رويدك .. لقد أصبنا الهدف .

توقف الجواد المدرب ، إلى جوار الصيد تمامًا ، فمال الفارس بجسده كله ، في مرونة مذهشة ، والتقط الصيد ، ثم حمله بساعد مفتول إلى صهوة الجواد ، وربت عليه ، قائلاً :

- ها هو ذا غذاء اليوم يا صديقي .. أعنى غذاء البشر .

أطلق الجواد سهيلًا خافتًا ، وكأنه يؤمن على حديث صاحبه ،

الذي أمال عناته ، وقال في حزم :

- هيا بنا .. سنبدأ رحلة العودة .

انطلق الجواد مرة أخرى ينهب الأرض نهبا ، عائداً إلى

مخيمات القبيلة ، بالقرب من تلك الواحة الوارفة ، في قلب

الخاصة ، تحيط به بعض الطنافس المزركشة ، عندما دلف (حازم) إلى خيمته ، وانحنى نصف انحناءة ، قائلاً في احترام بالغ :

- رهن إشارتك يا سيدي .

أشار إليه الشيخ ، قائلاً :

- اجلس يا (حازم) ، واقترّب مني يا ولدي .

جلس (حازم) على قيد متر واحد منه ، وداعب هو لحيته البيضاء في وقار ، قبل أن يقول في رصانة :

- أنت تعرف أبناء عمومتنا بالتأكيد ، في الواحة الخضراء .

أوماً (حازم) برأسه إيجاباً ، فأضاف الشيخ :

- منذ أسبوع واحد تم زفاف ابن عمنا (خالد) ، وابنة أمير البلاد ، وهذا أمرٌ عظيمٌ ورائعٌ . ولقد بلغنا الخبر أمس فحسب ، وكان من الضروري أن نرسل إلى (خالد) وقبيلته هدية مناسبة ، إعلاناً لفرحتنا واحترامنا ، ولم نجد لدينا ما هو أفضل من هذا .

مدّ يده تحت وسادة قريبة ، والتقط من أسفلها سيفاً من الذهب الخالص ، له مقبضٌ مرصعٌ بالياقوت والزمرد واللؤلؤ ، فهتف (حازم) :

- يا لروعته .

أجابته الشيخ :

- إنه سيف يخصُّ أحد عظماء الروم ، حصل عليه جدنا الأول ، تقديراً لشجاعته وبسالته ، أيام القتال الكبير ، وتوارثته القبيلة ، ضمن ما توارثته ، حتى حانت هذه اللحظة .

قال (حازم) مبتسماً :

- إنها هدية رائعة بالفعل يا سيدي .

ناولته الشيخ السيف الذهبي ، قائلاً :

- خذ يا (حازم) .. إنني أكلفك مهمة توصيل الهدية إلى صاحبها .. ستركب جوادك الآن ، وتنطلق على الفور إلى الواحة الخضراء ، لتسلم السيف إلى (خالد) مع تحياتي وتحيات قبيلتنا كلها .

حمل (حازم) السيف في اهتمام ، وهو يقول في حسم :

- سأبذل قصارى جهدي ، لأداء المهمة كما ينبغي يا سيدي .

قال الشيخ في صرامة :

- بل ستبذل حياتك نفسها ، لو اقتضى الأمر يا (حازم) .

نهض (حازم) ، قائلاً :

- بالتأكيد يا سيدي .. سيصل السيف إلى (خالد) بإذن الله

(سبحانه وتعالى) ، أو أهلك دون هذا .

ورفع قامته في اعتداد ، وانطلق لأداء مهمته ..

★ ★ ★

انطلق الجواد العربي ينهب الأرض نهبا براكبه .. حتى شارفت الشمس المغيب ، دون أن يتوقف لحظة واحدة ، وشعر ( حازم ) بالجهد الفائق ، الذي بذله الجواد ، ف جذب عنانه في رفق ، وهو يقول في لهجة حانية ، لا تخلو من الحزم :

- كفاك يا صديقي .. لقد قطعنا شوطا طويلا اليوم .

خفف الجواد من سرعته ، ونفخ الهواء بقوة من منخرية ، وأطلق صهيلا خافتا ، ثم توقف وهو يهز معرفته ، وكأنما ينفذ عن نفسه التعب ، فربت ( حازم ) على عنقه ، وهبط عن صهوته ، وانتزع قربة جلدية من سرجه ، صب بعض الماء منها في كفه ، وأدناه من شفتي الجواد ، الذي ارتشفه في لهفة عن آخره ، فكرر ( حازم ) العملية مرة ثانية ، وثالثة ، حتى اكتفى الجواد ، فرفع هو فم القربة إلى شفتيه ، وراح يروي عطشه ، ثم أعادها إلى السرج ، وقال للجواد :

- سنقضى الليلة هنا يا صديقي ، ونواصل رحلتنا غدا .

أطلق الجواد صهيله الخافت مرة أخرى ، وكأنما يعلن موافقته ، فربت ( حازم ) على عنقه مرة أخرى ، وبدأ ينتزع فرشًا صوفيًا من السرج ، يحتفظ به معه ، ليفترش بعضه ويتغطى ببعض الآخر عندما ينام في العراء ، وهم بوضعه على الرمال ، عندما أطلق الجواد صهيلا عصبيا ، وضرب الأرض

بحوافره ، فأثار زوبعة بالغة الصغر ، جعلت ( حازم ) يرفع عينيه في سرعة إلى الأفق ويتطلع في اهتمام حذر إلى قافلة صغيرة من خمسة جواد ، تقترب من موقعه في سرعة ..

واعتل ( حازم ) ، وأمسكت قبضته مقبض سيفه في تحفز ، وعيناه لا تفارقان الخيول الخمسة وركابها ، الذين اتضحت ملامحهم تدريجيا ، وهم يقتربون منه رويدا رويدا ، حتى بدا من الواضح أنهم مجموعة من قطاع الطرق ، لما يتميزون به من ملامح شرسة عنيفة ، ووجوه حادة قاسية ..

ولم يحرك ( حازم ) ساكنا ، حتى بلغه الرعب ، وإن ظلت يده ممسكة بمقبض السيف في قوة ، وألقى عليه الرجال الخمسة نظرة استخفاف ، قبل أن يقول أحدهم في خشونة :

- ماذا تفعل هنا يا فتى ؟

أجابه ( حازم ) في قوة :

- ماذا تفعل أنت ورفاقك هنا .. إنها أرض آبائي وأجدادي .

تبادل الرجال نظرة ساخرة ، ثم انفجر كبيرهم مقهقها ،

وقال في شراسة :

- أرض من؟! يبدو أنك لا تدرك من نحن .

ومال على جواده ، قانلا بلهجة أمر غليظة :

- هيا .. أرنا ما لديك .

قال ( حازم ) فى صرامة :

- حذار أن يمس أحدكم خيطاً واحداً مما أحمله ، وإلا مزقتكم  
إرباً ، وبات من العسير أن يميز فأر صغير بقاياكم ، بعضها من  
البعض .

بدا الغضب فى وجوههم ، وهتف كبير لهم :  
- هكذا .

وفى حركة واحدة ، استلّ الخمسة سيوفهم فى وجه ( حازم )  
الذى تراجع فى سرعة ، واستل سيفه بدوره ، هاتفاً :  
- ويل لكم .

انقضوا عليه بسيوفهم وخبولهم ، وهو واقف على قدميه ،  
وأطلق جواده صهيل اعتراض واحتجاج ، حينما تقارعت  
السيوف ، وصلصت :

- وقاتل ( حازم ) كالأسد ..

قاتل وراح سيفه يضرب السيوف الخمسة بكل قوة وبسالة  
وجسارة .. ولكن .. الكثرة تغلب - حتماً - الشجاعة ..

لقد أحاط به الرجال الخمسة ، وانهالت سيوفهم عليه من كل  
جانب ، حتى شعر بنصل سيف يضرب كتفه ، وآخر يدمى  
جبهته ، ثم أصابه رأس جواد فى صدره ، فألقاه أرضاً ، قبل  
أن يهاجمه جواد آخر ، و ...

وكانت الضربة عنيفة هذه المرة ..

وأظلمت الدنيا ..

وغاب ( حازم ) عن الوعى بسرعة ..

وأطلق جواده صهيباً قوياً ، وراح يخفت فى أذنه تدريجياً ..

ثم تلاشى كل شيء ..

تلاشى تماماً ..

★ ★ ★

مع أول ضوء للشمس ، نشطت كل الكائنات الحية فى  
الصحراء ، وخرجت بعضها من أوكارها ، سعياً خلف رزقها ،  
وبحثاً عن طعامها وفرانسها ..

ومن بين هذه الكائنات كان ذلك العقرب الأسود الصغير  
الحجم ، الشديد السمية والخطورة ، الذى برز من بين الرمال ،  
وكأنما ينمو من العدم ، ورفع ذيله الأسود السام فى تحفز ،  
وهو يتجه نحو ذلك الجسد الراقد على رمال الصحراء دون  
حرك ..

جسد ( حازم ) ..

واقترب العقرب الأسود من ضحيته الساكنة ..

وارتفع ذيله السام ..

ولكن الجواد العربى الأصيل أطلق صهيله القوى ، وهوى  
بحافره على العقرب الأسود ، فسحقه وسط الرمال ، ثم ضربه  
بعيذاً ، وكأنما يؤمن لصاحبه المزيد من الحماية ، وبعدها مال

برأسه إلى عنق ( حازم ) ، وراح ينفخ الهواء فيه من منخريه  
في رفق قلقٍ للمرة المائة ، منذ غياب شمس اليوم الماضي ،  
ثم أطلق صهيلًا خافتًا ، ودفع رأس صاحبه برأسه عدة مرات ،  
حتى سعل ( حازم ) ، وتمتم :

- رويدك .. رويدك .

استعاد وعيه في بضع ، وشعر بآلام شديدة في كتفه ورأسه ،  
ولكنه نهض جالسًا ، ونفض الرمال عن وجهه وثيابه ،  
وتحسس جرح جبهته ، والدماء الجافة عليه ، قبل أن يتنهّد ،  
مغمغماً :

- عجبًا .. لقد تركوني حيًا .

كان هذا يدهشه في الواقع ، فقطاع الطرق الوافدون على  
بلاده عبر الحدود ، لا يتركون الأحياء خلفهم عادةً ، ولكن ربّما  
تصوّروا أنه قد لقي مصرعةً ، فاكتفوا بسلب ما لديه ، ورحلوا ..  
استعاد عقله ووعيه وإدراكه بغتةً ، فهتف وهو يهبّ واقفاً :  
- ربّاه ! لقد سلبوا السيف .

اندفع نحو سرج جواده ، وبحث بسرعة عن السيف ، الذي  
يحتفظ به داخل رقعة من الجلد ، واحتقن وجهه غضبًا وثورةً ،  
عندما لم يعثر له على أثر ، وهتف :

- لقد سرقوه !

امتلأت نفسه بمرارة لا حد لها جعلت الدماء تتصاعد إلى



وبعد ما مال برأسه إلى عنق (حازم) ، وراح ينفخ الهواء فيه من  
منخريه ..

رأسه ، والحزن يعتصر قلبه بقبضة فولاذية باردة ، وهو يستطرد :

- لم نستطع الحفاظ عليه يا صديقى .

جاوبه الجواد بصهيله الخافت ، وكأنه يواسيه فى مصابه ، ولكن ( حازم ) انتفض قائلاً فى صرامة :

- ولكن لا .. لقد أقسمنا أن نوصل السيف إلى الواحنة الخضراء ، أو نهلك دونه .

والتفت إلى الجواد ، مستطردًا :

- هل سمعتَ يا صديقى ؟ أو نهلك دونه .

وعلى الرغم من آلامه ومرارته وجراحه وثب فوق صهوة الجواد بكل حزم ، وعزم ، وجذب عناته ، قائلاً :

- ولن نحنث بقسمنا قط .

كان واحدًا من فرسان الصحراء .. الذين تعلموا منذ حدثتهم كيف يقرعون الآثار على الرمال ، وكأنها كتاب مفتوح ، لذا فقد راح يتبع آثار قطاع الطرق ، فى صبر وأناة ، حتى بلغ تلك المنطقة الجبلية ، على مشارف الصحراء ، مع انتصاف النهار فتوقف وألقى نظرة طويلة على الجبل ، قبل أن يغمغم :

- يبدو أننا بلغنا وكر اللصوص يا صديقى ..

هبط عن صهوة الجواد ، وربت على عنقه ، قائلاً :

- الزم الصمت يا صديقى .. وحذار أن ينتبه هؤلاء المجرمون إلى وجودنا ، قبل أن نباغتهم ونستعيد سيفنا الذهبى .

خيل إليه ، كما يحدث فى معظم الأحيان أن جواده يفهم تمامًا ، فقد هز رأسه فى صمت دون أن يطلق صهيله المعتاد ، فابتسم ( حازم ) ، واتجه إلى الجبل ، وراح يتسلقه فى سرعة ومهارة ، حتى بلغ منطقة مرتفعة أمكنه منها أن يطل على مدخل مغارة كبيرة ، يقف على بابها حارس ضخمة الجثة ، يؤكد وجوده أنه وكر قطاع الطرق ، الذين يبحث عنهم .

ولم يكن ( حازم ) يملك سلاحًا هذه المرة بعد أن استولى المجرمون على سيفه وخنجره ، كما استولوا على السيف الذهبى ، وعلى قوسه ونشابيه أيضًا ..

ولكن هذه لم تكن أبدًا مشكلة ( حازم ) ..

لقد تحرك فوق الصخور بكل حذر .. دون أن يصدر عنه أدنى صوت ، حتى انتقى منطقة مناسبة ، وقال :

- ألا تضايقك الشمس يا رجل .

انتفض الحارس الضخم من المفاجأة ، ورفع عينيه إلى حيث ( حازم ) فى حركة حادة ، وأسرعت يده إلى مقبض سيفه .. و .. وانقض ( حازم ) ..

كان من الممكن أن ينقض على الرجل دون تنبيه ، وأن يستغل عامل المفاجأة ، ولكن طبيعة الفروسية الكامنة فى

أعماقه أبت عليه أن يهاجم خصماً في ظهره ، حتى ولو كان هذا الخصم عملاقاً مسلحاً ..  
وكانت الانتقاضة ناجحة للغاية ، فقد سقط الحارس الضخم ،



مع ثقل ( حازم ) ، وتدحرج الاثنان فوق الصخور ، والحارس ينتزع سيفه ، قائلاً في حدة :

- أية رياح خبيثة ألفت بك هنا ؟

أمسك ( حازم ) معصم الحارس ببسراه ، ليمنعه من استخدام السيف ، وهوى على فكه بيمناه ، قائلاً :

- بل قل .. ما أسوأ حظك ، الذي ألقاني في طريقك .

أصابته اللكمة فك الحارس كالقنبلة ، فارتج لها مخه داخل جمجمته ، وتراخت لها أصابعه ، التي تمسك مقبض السيف ، فلوى ( حازم ) معصمه في قوة ، وهو يصيب فكه بلكمة أكثر عنفاً ، قائلاً :

- ألا توافقتي على هذا الرأي يا رجل ؟

سقط السيف من يد الحارس ، ولكنه استجمع قوته ، ودفع ( حازم ) عن صدره ، وهو يقول :

- لا .. لست أوافقك عليها يا صاح .

كان من الواضح أن الحارس قوى البنية بالفعل ، فعلى الرغم من كل ما تلقاه من لكمات وضربات ، هب واقفاً على قدميه ، وانتزع خنجره من حزامه ، مستطرداً في وحشية :

- بل ربما كان هذا من سوء حظك أنت .

قالها وهوى بخنجره على قلب ( حازم ) .. الذي تفادى الطعنة بحركة مرنة ، ثم لكم الحارس في معدته ، بكل ما يملك من قوة ، وأزاح يده الممسكة بالخنجر بساعده ، قبل أن يحطم أنفه بلكمة ثانية ساحقة ..

وكانت هذه اللكمة هي فصل الختام ، إذ تحطم لها أنف الحارس ، وزاغت عيناه ، ودارتا في محجريهما ، قبل أن يهوى على وجهه فاقد الوعي ..

وفي سرعة ، التقط ( حازم ) الخنجر ، ودسّه في حزامه ،

ثم سار إلى حيث سقط السيف ، وحمله في قوة ، وهو يقول :  
- إنك لا تشبه سيفي البتار ، ولكنك تؤدي الغرض .

اتجه إلى مدخل المغارة مرة أخرى ، وعبره في حذر ، وهو  
يمسك السيف في تحفز ، وعبر ممرًا صخريًا طويلًا ، حتى بلغ  
منطقة فسيحة .. يجلس داخلها أربعة رجال ، وقد اتهمكوا في  
إحصاء عدد من العملات الذهبية ..

وبغته ، قفز ( حازم ) وسطهم ، هاتفاً :

- هي غنيمة جديدة إذن !

انتفضوا في ذعر للمفاجأة ، وقبل أن يتحرك أحدهم ، كان  
( حازم ) قد طعن أولهم بسيفه ، ثم دار على عقبه ، وهوى  
بصله على يد الثاني ..

وهب الثالث والرابع للقتال ، ولكن ( حازم ) أصاب الثالث ،  
قبل أن يلتقط سيفه ، في حين شهر الرابع سيفه ، هاتفاً :

- إنها لحظتاك الأخيرة يا فتى .

التقى السيفان بصليل قوى ، رددته جدران المغارة ،  
و( حازم ) يقول :

- إنها لحظتكم أنتم لا أنا .

لم يتقارع السيفان أكثر من لحظات معدودة ، أدرك اللص  
بعدها أنه يبارز فارساً صنديداً ، لا يشق له غبار ، فهتف :

- النجدة .. النجدة يا رفاق .

ولكن أحداً لم يهب لمعاونته ..

كانوا قد ذاقوا نصل سيف ( حازم ) بالفعل .. وعلموا أي  
فارس يقاتلون ، وكانت إصاباتهم تغنيهم ، فاتكمشوا في أماكنهم  
واكتفوا بمراقبة القتال بأعين زائغة ، حتى أدار ( حازم ) سيفه  
حول نصل سيف خصمه ، وهو يقول :

- انتهت اللعبة يا رجل .

وبضربة تحمل من المهارة أكثر مما تحمل من القوة ، أطاح  
بسيف خصمه ، ثم رفع ذبابة سيفه إلى عنقه ، وأصقه بالحائط ،  
فصاح اللص مذعوراً :

- لا .. الرحمة .. لا تقتلني .. أرجوك .

سأله ( حازم ) في صرامة :

- أين سيفي ؟

لوح الرجل بيده في رعب ، هاتفاً :

- سيفك هناك .. إلى جوار الحائط .

ألقي ( حازم ) نظرة سريعة إلى سيفه الخاص ، الموضوع  
في غمده الجلدي المنقوش ، مستنداً إلى جدار المغارة ، وقال :

- أين السيف الذهبي ؟

قال الرجل في ارتياح :

- ليس هنا .. أقسم لك إنه ليس هنا .

جاء الجواب ليفجر مزيداً من الغضب في أعماق ( حازم ) ،



الذى دفع ذبابة سيفه أكثر ، فى عنقِ غريمه ، حتى أدماه ،  
فصرخ الرجل :

- أقسمُ لكِ إننى أقولُ الحقَّ .

صاح به ( حازم ) فى حدة :

- أين هو إذن .. أجبْ وإلا أجهزت عليكِ جميعاً .

شحب وجه الرجل ، وارتعد زملاؤه الثلاثة المصابون ..  
فهتف أحدهم :

- سأخبرك .. سأخبرك بكل ما تريد .

التفت إليه ( حازم ) ، قائلاً فى صرامة :

- هيا .. أخبرنى أين هو ؟

ازدرد الرجلُ لعابه الجاف فى صعوبة ، وقال :

- لقد فكرنا - فى البداية - فى إذابته ، كما نفعنا بالمسروقات

الأخرى ، وبيعه إلى صائغِ نعرفة .. فى المدينة الكبيرة خلف

حدودكم ، ذات القباب الضخمة ، ولكن الزعيم رأى أن هذا

سينقص من قيمته كثيراً ، فقرَّر أن يحمله بنفسه ، مع الأربعة

الباقيين منا ، إلى مدينة القباب ، ليبيعه كما هو .. حتى يفيد

بثمنه الضخم دفعةً واحدة .

بدا التوتر على وجه ( حازم ) ..

إذن فزعيمُ المجرمين قرَّر عبورَ الحدود ، إلى مدينة القباب ،

ليبيع السيف ..

ولكن لا ..

لن يسمح له أبداً ..

وفى صرامة ، سأل الرجل :

- ومتى رحلَ الزعيمُ ورجاله ؟

أجابه الرجلُ فى استسلام مرير :

- فى الفجر .. وسيبلغون مدينةَ القباب مع غروب الشمس ..

التقى حاجباً ( حازم ) فى شدة ..

لم يغد لديه ما يكفى من الوقت ..

لا بدَّ له من أن ينطلق الآن ..

وبأقصى سرعةٍ ممكنة ..

وأعاد ( حازم ) سيفه إلى غمده ، وهو يقول فى صرامة :

- كان يمكننى أن أقتلكم جميعاً بلا رحمة ، جزاء ما فعلتم

بى ، ولكن من حسن حظكم أننى لستُ قاتلاً مثلكم ..

ثم اتجه فى اعتداد إلى مدخل المغارة ، تاركاً الرجال الأربعة

خلفه ، فى انهيار شديد ، غير مصدقين أنهم قد نجوا ، أما هو ،

فغادر المغارة فى سرعة ، وعاد إلى حيث ترك جواده ، وربَّت

على عنقه ، وقال وهو يشير إلى جرابه الجلدى المنقوش :

- لقد استعدت سيفى يا صديقى ، وبقي أن أستعيد السيف

الذهبى .

وثب على صهوة الجواد فى رشاقة ، وجذب عناته ، مستطرذا :

- وهذا يحتاج من كلينا إلى جهد أكبر ، و ..

وفجأة ، وقبل أن يتم عبارته ، انقضَّ عليه الحارس الضخم ، من فوق صخرة قريبة ، وأحاط وسطه بساعديه المفتولين ، وهو يقول في غضب جنوني :  
- لن تغتلب بهذه البساطة .

سقط ( حازم ) من فوق جواده ، وسقط فوقه الحارس الضخم ، وشعر ( حازم ) بثقله ، وهو يجثم على أنفاسه ، ويكبل ساعديه ، ورآه يعتدل ويلتقط حجراً ضخماً ، وهو يصرخ :

- إنك لن تغادر هذا المكان حياً .

وبكل ما يملك من قوة هوى بالحجر على رأس ( حازم ) ..  
وبلا رحمة ..

★ ★ ★

تصوّر ( حازم ) في موقفه العصيب هذا ، أن نهايته آتية لا ريب ..

كان الحارس الضخم يجثم على صدره .. ويقيد حركته .. وملامحه تبدو أشبه بملامح نلب مفترس .. أضناه الجوع والعطش ، قبل أن يجد في النهاية فريسة سهلة .. سيهلك جوعاً ، لو لم يمزقها بمخالبه إرباً ، ويلتهمها التهاماً ..  
وكان الحجر الضخم يرتفع إلى أعلى ، بين يدي الحارس ،

ويستعد ليهوى بكل ثقله على رأس ( حازم ) بلا رحمة أو هوادة .. و ..

وفجأة انقلبت الأمور كلها رأساً على عقب ..

انقلبت بصهيل قوى ، رددت الجبال صداها ، عندما اندفع الجواد لنصرة فارسه ، ورفع قائميه الأماميين ، ليهبط بحافريهما القويين على ظهر الحارس الضخم ..

وجاءت الضربة عنيفة قوية ، دفعت جسد الحارس إلى الأمام ، وهو يمسك الحجر الضخم فوق رأسه ، فاختلف توازنه ، وأفلتت أصابعه الحجر ، فسقط ..

سقط على رأس الحارس نفسه ، وليس على رأس ( حازم ) .. وفي لحظة ، وجد ( حازم ) الحارس ملقى إلى جواره ، فاقد الوعي ، والدماء تنزف من رأسه ..  
فهتف بجواده :

- أحسنت يا صديقي .. إننى مدين لك بحياتى .

مرة أخرى خيل إليه أن الجواد يفهم جيداً ، عندما رآه يتراجع في خطوات رشيقة ، وينفخ الهواء من بين أسنانه في قوة ، ثم يهز رأسه هزة قوية . تطايرت لها معرفته للناعمة ، فى مشهد أنيق ، قبل أن تعود لتستقر على جانب عنقه ، ثم تقدم من فارسه ، وكأنما يدعو لامتطائه مرة ثانية ، ولكن ( حازم ) ربت على عنقه ، قائلاً :

- لا يمكننا أن ننصرف بهذه السرعة يا صديقي .

ثم انتزع من سرجه قطعة طويلة من القماش ، واتحنى  
يضمّد بها جرح رأس الحارس الضخم ، بكل سرعة ومهارة  
وعناية ..

وكان مشهدًا كفيلاً بإثارة دهشة الحارس نفسه ، لو أنه  
استعاد وعيه في تلك اللحظة ..

فلن يتصور أبدًا أن يهتم ( حازم ) بجرحه إلى هذا الحد ،  
وهو الذي حاول قتله منذ لحظات ..

ولكن ( حازم ) أجاب السؤال بنفسه ، بعد أن انتهى من  
تضميد الجرح ، ونهض قائلاً لجواده :

- أعلم أنه حاول قتلي .. ولكنه بشر .. ولن نتركه مصابًا  
هكذا .. أليس كذلك ؟

لم يكن ينتظر بالطبع جوابًا من جواده ، لذا فقد أمسك  
السرج بيسراه ، واستطرد في حزم :

- والآن هيا بنا يا صديقي .

وبحركة بالغة المرونة والرشاقة ، وثب على صهوة جواده ،  
وجذب لجامه ، فانتفض الجواد ، وانتعش ، وأطلق صهيله  
القوى الرنان ، ثم انطلق في قلب الصحراء ، ينهب الأرض نهبًا ،  
ويثير خلفه عاصفة عاتية من الرمال ..

ولم تفارق عيننا ( حازم ) رمال الطريق طوال الوقت ..



كان يتابع آثار الأقدام بكل عناية واهتمام ، ليتمكن معرفة  
خط سير زعيم المجرمين ورجاله ..

ولم يكن الأمر سهلاً ..

لقد سبقه الزعيم ورجاله بعدة ساعات ، وعليه أن ينطلق  
بأقصى سرعته وقوته ، لتعويض هذه الساعات الضائعة ..

ولم يتوان الجواد لحظة واحدة بدوره ..

لقد أطاع تعليمات فارسه ، التي تأتيه عبر جذبات اللجام  
المختلفة ، ولكزات الكعبين في معدته ، وضغط الساقين على

بطنيه ، ومضى في طريقه قوياً ، عنيذاً ، على الرغم من طول

الطريق ، وقسوة الصَّحراء ، والشَّمس تلهبُ رأسه ورأس  
راكبه ، وهى تقطعُ رحلتها عبر السَّماء ، نحو الغروب ..  
ثم لاحت مدينة القباب ..

لاحت مع غروب الشمس ، وقد انعكس الضوء الأخير على  
قبابها الذهبية ، فالتمعت وتألقت كعددٍ من الشموس الصغيرة ،  
التي تشارك الشمس الأم رحلة الغروب ، خلف الأفق البعيد ..  
وجذب ( حازم ) عنان جواده ، على نحو جعل الجواد يخفف  
من سرعته ، ويتوقف فى النهاية ، وهو يضرب الرمال  
بحوافره فى عصبية ، وكأنما يعلن استعداده للمضى قدماً وقطع  
المزيد من الطريق ، لو أمره صاحبه بهذا ..  
ولكن ( حازم ) كان غارقاً بكل حواسه ، فى التطلع إلى  
القباب الذهبية ..

ها هى ذى مدينة القباب ..

عاصمة البلاد المجاورة لبلاد ..

بعد لحظات سيعبر هذه التلال القريبة التى تمثل حدود بلاد ،  
وينتقل إلى البلاد المجاورة ، حيث مدينة القباب الذهبية ..  
سينتقل من عالم إلى آخر ، يختلف عن عالمه تماماً ..  
صحيح أن الدولتين متجاورتان ، ولكن طبيعة كل منهما  
تختلف عن الأخرى تماماً ..

فى مدينة القباب لن يجد فرساتاً أو قبائل ..

لن يجد ذلك النمط العربى الأصيل ، الذى اعتاده فى موطنه ..  
وهنا يكمن الخطر ..

امتلات نفسه بالقلق والحذر والتحفز والتوتر ، ولكنه لم  
يتراجع ، أمام كل هذه المشاعر ، وإنما لكز جواده مرة أخرى ،  
وهز لجامه فى رفق ، فواصل الجواد طريقه ، وعبر مع صاحبه  
حدود البلاد ، واتجه نحو مدينة القباب ..

★ ★ ★

مع مغيب الشمس ، عبر ( حازم ) وجواده أبواب المدينة ،  
وامتزجا بذلك النهر من زحام البشر داخلها ، حتى بلغ ( حازم )  
أول صانع بالمدينة ، فهبط عن جواده ، واتجه إليه ، قائلاً :  
- السلام عليكم يا رجل .. هل أتاك اليوم من يعرض عليك  
شراء سيف مصنوع من الذهب الخالص ، ومقبضه مرصع  
بالأحجار الكريمة ؟

ارتفع حاجبا الرجل ، وبدا مبهوراً من مجرد الوصف ، وهو  
يهتف :

- لا يا ولدى .. لم أر تحفة كهذه التى تصفها ، لا اليوم ،  
ولا فى أى يوم مضى ، طوال أربعين عاماً ، قضيتها فى هذه  
المهنة ، وحتى لو رأيت لما أورثنى هذا سوى الحسرة والغيب .  
سأله ( حازم ) فى حذر :

- الحسرة والغيب !! ولماذا يا رجل ؟

تنهّد الرجل ، وقلّب كفيه ، وهو يجيب :

- لأننى أعجز عن شراء تحفة كهذه .. إنها تحتاج إلى صانع كبير ، عظيم الثراء ، يمتلك ثروة كافية ، لشراء مثل هذا السيف ، وله اتصالات مع عليّة القوم ، الذين يمكنهم الحصول عليه .

سأله ( حازم ) فى فراغ صبر :

- صانع كبير مثل من ؟

أجابته الرجل فى سرعة :

- مثل ( شيلوكى ) .. صاحب ذلك القصر ، فى نهاية السوق .. إنه يتخذ مسكنًا ومتجرًا .. يمكنك اللحاق به الآن ، فعمل المتجر يتوقف بعد الغروب .

وثب ( حازم ) على صهوة جواده ، وأسرع نحو قصر ( شيلوكى ) هذا ، ولم يكذب يبلغه حتى أوقف جواده ، وقفز إلى الأرض ، وربّت على عنق الجواد ، قائلاً :

- انتظرنى هنا يا صديقى .

لمح الجياد الثلاثة ، التى تتوقف أمام المتجر ، وميز منها جواد زعيم المجرمين ، فغمغم فى ارتياح :

- حمدًا لله .. يبدو أننا وصلنا فى الوقت المناسب ..

ولكنه لم يكذب يذلف إلى المتجر الفسيح ، حتى التقى حاجباه فى توتر ، وهو يدير عينيه فى المكان الخالى ، إلا من رجلين من صغار الباعة ..

لم يكن هناك أدنى أثر لزعيم المجرمين ، أو لرجل يوحى مظهره بأنه ( شيلوكى ) ، الصانع الثرى ، فسأل ( حازم ) العاملين فى انفعال :

- أين السيد ( شيلوكى ) ؟

أجابته أحدهما فى خشونة :

- ليس هنا .

سأله ( حازم ) فى صرامة :

- أين ذهب ؟ إننى أريده لأمر عاجل ، وبالغ الأهمية والخطورة ، وأريد مقابلته الآن .. فورًا .

تبادل الرجلان نظرة حذرة ، قبل أن يقول أحدهما :

- لا يمكنك مقابلته فورًا .. إنه يجرى صفقة مهمة .

أمسك ( حازم ) مقبض سيفه فى حزم وهو يقول :

- هذا بالضبط ما أريد مقابلته بشأنه ، فلو أن هذه الصفقة

تختص بسيف من الذهب ، فلن يمكنه إتمامها : لأن هذا السيف مسروق .

تبادل الرجلان نظرة متوترة هذه المرة ، وقال أحدهما فى غلظة :

- ليس هذا فى شأنك يا رجل .. ابتعد .. هيا ، قبل أن ننادى

الجند ، ونطالبهم باعتقالك .

امتشق ( حازم ) سيفه فى حركة سريعة ، وهو يقول فى

قوة وإصرار ، بديا واضحين فى لهجته وملامحه :

- قلت لكما سأقابله على الفور .

لم يكذب ينطقها ، حتى لمحت عيناه ذلك الباب الخلفى للمتجر ،  
الذى تم صنعه بمهارة كبيرة ، بحيث يبدو إطاره وكأنه جزء فى  
النقش العام للمتجر ، فاتجه إليه فى حزم ، جعل الرجلين  
يعترضان طريقه ، ويهتفان :

ليس هذا من حقتك أجابهما فى لهجة مخيفة :

- ابتعدا ، أو امزقكما إربًا .

ارتفع من خلفه فجأة صوت غليظ ، يقول :

- قالوا : إنه ليس من حقتك .

التفت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، والتقت عيناه بعيني  
أحد قطاع الطرق ، الذين هاجموا فى اليوم السابق وسرقوا منه  
السيف ، ولم يكذب الرجل يراه ، حتى قال فى سخرية :

- إذن فهو أنت .. مرحى .. هل تفكر فى استعادة سيفك

الذهبي يا فتى ؟

استدار إليه ( حازم ) بجسده كله ، وهو يقول فى صرامة :

- بل أنا مصر على هذا .

وبدون كلمة إضافية أخرى ، وعلى نحو مباغت تمامًا ،  
انقض كل منهما على الآخر ، والتقى سيفاهما بصليل مزعج ،  
وراحا يتقارعان فى قوة وعنف وصلابة ، فهتف أحد عاملي  
المتجر بزميله :

- الجند .. أسرع فى طلب الجند .

اندفع العامل خارج المتجر ، تلبية لهاتف زميله ، فى نفس  
اللحظة التى مال فيها ( حازم ) ، جانبًا متفاديًا ضربة من سيف  
خصمه ، كشفت صدر هذا الأخير ، فوثب ( حازم ) فى سرعة  
وحنكة ، وطعنه ..

ولم يضع لحظة واحدة بعدها ..

كان يعلم أن العامل سيستدعى الجند فى أقرب وقت ، وأن  
صليل السيوف قد بلغ حجرة ( شيلوكى ) الخلفية حتمًا ، لذا فقد  
أزاح العامل الثأتى ، فور سقوط خصمه ، ثم انقض على الباب  
الخلفى ، وركله بكل ما يمتلك من قوة ، فحطم رتاجه ، واندفع  
داخل الحجرة ..

وهب الرجال الأربعة داخل الحجرة دفعة واحدة ، مع ذلك  
الافتحام المفاجئ ..

كان زعيم المجرمين مع رجلين من رجاله ، يتأهبان لصد  
الهجوم ، فى حين كان ( شيلوكى ) بجسده الضئيل ، ورأسه  
الأصلع ، ولحيته الحادة القصيرة ، يحمل السيف الذهبى ،  
ويحاول الفرار إلى داخل قصره ، عبر باب جانبي آخر ..

وهتف الزعيم :

- إذن فقد أتيت خلفنا ..

ولكن ( حازم ) لم يناقشه ..

كان قد تعلم الدرس جيدًا ، وأدرك أنه ، فى مثل هذه

الصراعات ، يكون لكل ثانية ثمنها ، ومفعولها الحاسم ، فى تحقيق النصر ، أو جلب الهزيمة ، لذا فقد هاجم الرجال الثلاثة بلا توقف أو تردد ، وطعن أحدهم بسرعة مدهشة . ثم أصاب يد الثاى بضربة مدروسة ، أطاحت بسيفه ، ومزقت كفه ، ولكن الزعيم انقض عليه بدوره ، هاتفاً :

- لن تريح ، مهما فعلت هذه المرة .

أما ( شيلوكى ) ، فقد عبر الباب الجانبى إلى قصره ، وراح يصرخ :

- النجدة .. لص .. إلى يا رجال .

تلقى ( حازم ) ضربة الزعيم على نصل سيفه ، ثم أزاحه جانباً ، ودفع الزعيم نفسه بضربة قوية من قدمه ، وهو يقول :

- لم يحن الوقت لقتالك بعد .. السيف أولاً .

سقط الزعيم على ظهره ، وهو يهتف فى غضب :

- انتظر .

كان يأمل فى تعطيل ( حازم ) قليلاً من خلال مبارزة عنيفة طويلة ، حتى يصل الجند ، أو يهب رجال ( شيلوكى ) لنجدته ، ولكن ( حازم ) كان يدرك هذا الغرض ، لذا فقد فوت الفرصة على الزعيم ، إذ وثب عبر الباب الجانبى ، ثم أغلقه خلفه فى إحكام ، وهتاف ( شيلوكى ) ما يزال يتردد فى المكان :

- النجدة يا رجال .. أوقفوا اللص ..

كان الباب يقود إلى القصر ، حيث يعدو ( شيلوكى ) ، فانتطلق ( حازم ) خلفه ، انطلق الزعيم داخل الحجرة الخلفية للمتجر ، يضرب بابها الجانبى بقبضتيه فى غضب وغيظ ، وهو يصرخ :

- عد أيها الجبان .. عد أيها الرعدي .

تجاهل ( حازم ) هذه المحاولة تماماً وأضاع على الزعيم فرصة استفزازه للمرة الثانية ، وهو يعدو خلف ( شيلوكى ) ، الذى تعثر فى عدوه ، وسقط على وجهه ، وهو يصرخ :

- أنقذونى من اللص .. النجدة .

بلغه ( حازم ) فى هذه اللحظة ، ووضع ذبابة سيفه على رقبته ، وهو يقول :

- لست أنا اللص يا رجل .. اللص هو من يشتري سيفاً مسروقاً ، وهو يعلم هذا .

استدار إليه ( شيلوكى ) ، وهو يرتعد كعصفور مبتل ، وهتف :

- لست أريد السيف .. أبق على حياتى وخذه .. خذ السيف ، أو حتى خذ كل ثروتى ، ولكن اتركنى حياً .

اختطف ( حازم ) السيف الذهبى من يده ، وهو يقول :

- احتفظ بثروتك أيها الصانع ، يكفينى سيفنا الذهبى .. إنه

حقنا .

لم يكدي يمسك السيف في يده ، حتى ظهر رجال ( شيلوكي ) من كل صوب ، وكل منهم يحمل سيفه ، في نفس اللحظة التي اتهار فيها الباب الجانبي ، تحت ضربات زعيم اللصوص ، الذي ظهر منه ، وخلفه عدد من الجنود ، وأشار إلى ( حازم ) وهو يهتف في غضب :

- ها هو ذا اللص .. أمسكوه ..

وأطبق الجميع على ( حازم ) ..

ومن كل صوب ..

★ ★ ★

كان الموقف بالغ الدقة والخطورة ، ويدعو إلى السخرية ، في الوقت ذاته ، فقد كان ( حازم ) هو صاحب السيف الحقيقي ، والجميع فيما عدا هذا مجرد لصوص ، يحاولون سرقة سيفه وبيعه ، ولكن الأمور كلها تبدو مقلوبة تماما ؛ إذ إن رجال ( شيلوكي ) والجنود ينظرون إليه باعتبار أنه هو اللص ، وأن الجميع فيما عداه شرفاء .

وكان من المستحيل أن يقاتل ( حازم ) كل هذا العدد دفعة واحدة ، لذا فقد دارت عيناه فيما حوله بسرعة ، بحثا عن منفذ أو مهرب ، من هذه الأثرة ..

وتوقفت عيناه عند باب جانبي نصف مفتوح ، يقود إلى أحد أبراج القصر ، وقبل أن يدرس عقله الموقف ، كانت قدماه



بلغه ( حازم ) في هذه اللحظة ، ووضع ذبابة سيفه على رقبته ، وهو يقول :- لست أنا اللص ..



تسرعان نحو الباب ، والجميع يعدون خلفه ، و ( شيلوكى )  
يصرخ :

أمسكوه .. إنه لص .. لقد سرق سيفى الذهبى .

أما زعيم المجرمين ، فصرخ :

اقتلوه .. اقتلوا اللص .

ولكن ( حازم ) بلغ الباب ، قبل أن يبلغه أحدهم ، فقفز  
عبره ، ثم دفعه بكل قوته ، وأغلقه فى وجوه مهاجميه ، وألقى  
رتاجه الخشبى الضخم فى سرعة وعنف ، وتراجع لاهثا ،  
والضربات تهوى على الباب فى قوة وغضب ..

وألقى ( حازم ) نظرة على ذلك المكان ، الذى قادتته قدماه إليه ..

كان أشبه بمخزن قديم ، أو حجرة مهملات ، له جدران  
هائلة الارتفاع ، تصل إلى عشرة أمتار ، وتنتهى بنوافذ مربعة  
كبيرة ، يتسلل منها ضوء القمر ، ليمنحه القدرة على الرؤية  
بصعوبة ، أما أرضية المكان فقد تكدست فيها عدة أشياء ..  
عصى خشبية ، وحبل طويل ، وبعض أعواد الخيزران ، وبقايا  
سرج قديم ..

ومن الخارج سمع ( حازم ) زعيم المجرمين يهتف بالجنود ،

وبرجال ( شيلوكى ) :

- احضروا بعض الفئوس .. سنهدم هذا الباب الخشبى ،

أو نشعل فيه النيران .. المهم أن نظفر باللص .

صاح ( شيلوكى ) فى عصبية :

- لا .. لا تشعلوا النيران .. سنتلفون السيف الذهبى .

ثم صاح صوت من بعيد :

- لقد أحضرت الفئوس .

وبعدها بلحظات بدأت الفئوس تهوى على الباب ، وتسعى

لتحطيمه ..

ولم يكن هناك مخرج طبيعى من هذا الموقف الحرج ، ولكن  
عقل ( حازم ) راح يعمل بكل سرعته وقوته كالمعتاد ، فى مثل  
هذه الظروف ..

وبسرعة انحنى ( حازم ) يلتقط عودا قويا من أعواد  
الخيزران ، ثم انتزع قطعة طويلة من الجلد ، من السرج القديم ،  
وأخرج خنجره ، وراح يصنع فجوتين صغيرتين ، فى طرفى  
عود الخيزران ، ثبت فيهما قطعة الجلد الطويلة الرفيعة ،  
وجذبها فى قوة . لينثنى عود الخيزران ، ويصبح قوسا قويا ،  
وبعدها التقط عددا آخر ، ثبت فى نهايته بعض قطع الجلد ،  
ليصبح أشبه بسهم طويل ، والتقط طرف الحبل ، وربطه جيدا  
فى نهاية السهم الخيزران ، ثم وضع السهم فى وتر القوس ،  
وصوبه إلى النوافذ العلوية ، قائلاً :

- على بركة الله ( سبحانه وتعالى ) ..

جذب وتر القوس بكل قوته ، وصوب سهمه فى إحكام

وإتقان إلى النافذة البعيدة ، على الرغم من شظايا الخشب ، التي بدأت تتطاير داخل المكان الضيق ، بعد أن عبرت بعض الفئوس الباب ، وبدأت تصنع فيه فجوات صغيرة ، تتسع في سرعة .. وأطلق ( حازم ) سهمه ، الذي جذب إليه الحبال ، وهو يندفع نحو النافذة ، وعينا ( حازم ) تتابعانه في قلق وترقب ، مغمغماً :

- ترى هل يتخذ المسار المنشود ؟

أجابته السهم على الفور ، عندما عبر فجوة واسعة تعلو إطار النافذة تماماً ، وهو يجذب الحبل الطويل خلفه ، فأسرع ( حازم ) يجذب الحبل ، ليوقف اندفاع السهم ، وهو يهتف :

- حمداً لله .

أوقفت الجذبة السهم بصورة مباغتة ، فهوى بفعل الجاذبية ، ولكن الحبل تعلق بإطار النافذة العلوى ، فتأرجح السهم ، وعبر النافذة مرة أخرى إلى الداخل ، وهنا أفلت ( حازم ) الحبل ، هاتفاً :

- رائع .

كادت حركته معقدة بعض الشيء ، ولكنها أتت بالغرض منها تماماً ، فقد تهاوى السهم مرة أخرى داخل المخزن القديم ، وهو يجذب الحبل خلفه ، حتى بلغ قبضة ( حازم ) ، في الوقت

الذي صنعت فيه الفئوس فجوات أكبر ، وهتف زعيم اللصوص في الخارج :

اضربوا بقوة أكبر .. سنظفر به حتماً بعد قليل .

ولكن ( حازم ) جذب طرفي الحبل ، عقدهما ببعضهما ، والحبل يلتف حول الإطار العلوى للنافذة ، ثم راح يتسلق الجدار في خفة وسرعة ، وقبل أن يبلغ النافذة بمتراً واحداً ، اتهار باب المخزن ، واندفع الرجال داخله وهتف ( شيلوكي ) في ارتياح ، وهو يرفع عينيه عالياً :

إنه ليس هنا .. إنه يهرب بسيفي .. أوقفوه .

رفع الرجال أقواسهم إلى أعلى ، وأطلقوها نحو ( حازم ) ، الذي تسلق الحبل بسرعة كبيرة ، والسهم تتناثر من حوله ، ثم قفز عبر النافذة إلى سور القصر ، وخلفه زعيم اللصوص يصرخ :

أوقفوه .. لا تسمحوا له بالفرار .

ولكن ( حازم ) قال ساخراً :

- فات الوقت يا رجل .

وأطلق من بين شفتيه صفيراً طويلاً ، بلغ مسامع جواده ، فأطلق صهيلاً قوياً ، وانطلق إلى حيث صاحبه ، الذي وثب من فوق الأسوار هاتفاً :

- هيا يا صديقي .

هبط على ظهر جواده مباشرة ، وبدقة تدعو إلى الإعجاب ،  
ولم يكد يستقر فوقه ، حتى انطلق الجواد بكل سرعته وقوته ،  
و ( شيلوكي ) من خلفه يصرخ :

- سيفي .. سيفي الذهبي .. أوقفوه ..

ولكن الجواد اخترق سوق المدينة كعاصفة عاتية و ( حازم )  
من فوقه يهتف :

- انطلق يا صديقي .. انطلق .. لقد استعدنا مالنا ..

وبوثبة رائعة ، تجاوز الجواد أبواب المدينة وحرّاسها ،  
وانطلق نحو التلال ..  
ونحو الحدود ..

★ ★ ★

لم يتوقف ( حازم ) وجواده عن العدو طيلة الليل ، على  
الرغم من أن أحداً لم يتحرك بالسرعة الكافية لمطاردتهما ،  
خارج أسوار مدينة القباب ، أو أن أحداً لم يجرف على  
مطاردتهما عبر الحدود ..

المهم أن الواحة الخضراء قد بدت واضحة ، مع شروق  
شمس الصباح التالي ، وبلغها ( حازم ) بعد نصف الساعة من  
الغروب ، حيث استقبله أهلها بترحاب شديد ، وعانقه ( خالد ) ،  
وهو يهتف في سعادة وحماس ..

- مرحى يا رجل .. كم نشأتق إليك .. أية رياح طيبة  
أرسلتك إلينا ؟



هبط على ظهر جواده مباشرة ، وبدقة تدعو إلى الإعجاب ، ولم  
يكد يستقر فوقه ، حتى انطلق الجواد بكل سرعته وقوته ..

ناولته ( حازم ) السيف الذهبى ، وهو يقول :  
- أتيتُ حاملاً هذه الهدية إليك ، من شيخ قبيلتنا ، بمناسبة  
زواجك من ابنة أمير البلاد .

أخرج ( خالد ) السيف الذهبى من غمده ، فانتقلت شهقات  
الإعجاب والانبهار من الجميع ، وقال شيخ الواحة الخضراء  
مبتسماً :

- هدية عزيزة من أخ عزيز يا ولدى ، ولكن ألم يكن من  
الخطر أن تعبر الصحراء وحدك إلينا ، وأنت تحمل ثروة كهذه ؟  
ابتسم ( حازم ) ، وقال :

- الله ( سبحانه وتعالى ) خير حافظ يا سيدى ، ومهما كانت  
المخاطر ، فنحن فرسان الصحراء ، ولن يهزمنا رعاؤها قط .  
ثم غمز بعينه لجواده ، مستطرداً :

- أليس كذلك يا صديقى ؟  
أطلق الجواد صهيله القوي ، فالتفتت إليه كل العيون فى  
إعجاب ، وارتسمت على شفتى ( حازم ) ابتسامة كبيرة تعلن  
وصول السيف إلى صاحبه ، و ..  
ونجاح المهمة .

★ ★ ★

( تمت بحمد الله )

روايات مصرية الجيد

كوكب  
٢٠٠٠



المرأة مشكلة ... صنمها الرجل

الفرجينس

(دراسة)

لأهلها وذويها ، ولكنها كانت تعلن عن رغبتها هذه فى وضوح ،  
وسط صديقاتها وزميلاتها ، لأنهن يشاركنها رغبتها وحلمها ..  
ثم تغيّرت الظروف الاقتصادية ..  
والاجتماعية ..

أصبح الزواج شاقاً عسيراً ، والارتباط أمراً يحتاج إلى كفاح  
مضن ..

تكاليف الحياة زادت ..

مغالاة الأهل فى المهور والمظاهر تضاعفت ..

أسعار الشقق ..

الأثاث ..

وحتى أدوات المطبخ ..

كل شيء صار باهظاً ، حتى إن فرص الزواج انخفضت ..

إلى أقل من الربع ..

ومع انخفاضها ، أدركت كل فتاة أنه صار من المحتمل أن

تحمل يوماً ذلك اللقب البغيض ..

لقب ( عانس ) ..

ولأن كل فتاة ، فى مجتمعاتنا الشرقية ، لا تبغض فى حياتها

كلها قدر هذا اللقب ، الذى صار يحوم فوق رؤوسهن جميعاً ،

دون اعتبار لجمال أو رقة ، أو مستوى مادي واجتماعي ، فقد

نقلت الفتيات مشاعرهن ، كإجراء دفاعي وقائي ، إلى ناحية

غير منطقية ..

## العريس ..

من تتزوج أولاً؟!!

سؤال يطرح نفسه على ذهن أية مجموعة من الصديقات ،  
مهما اختلفت بيئتهن ، أو طبيعتهن ، أو حتى مستوياتهن  
الاجتماعية ..

وحتى لو أخفيه فى أعماقهن ، ورفضن البوح أو الاعتراف  
به ..

أو تظاهرن بالعكس ..

وظاهرة إخفاء الرغبة فى الزواج هذه ظاهرة حديثة ،  
لم تعرفها المجتمعات الشرقية ، حتى الماضى القريب ، ولا تعرفها  
المجتمعات الغربية على الإطلاق ، بل ولم تعرفها إلا منذ عدة  
قرون ..

فالفتاة الأوروبية والأمريكية لا تخفى أبداً رغبتها فى الزواج  
والاستقرار ، وإنجاب البنين والبنات ، والارتباط بزواج محب ،  
يحيطها بكل الدفء والحنان ..

ومن المؤكد أن هذا هو حلم حياة كل فتاة ..

منذ الأزل ..

وقديماً ، فى مجتمعاتنا الشرقية ، لم تكن الفتاة تصرّح بهذا

وأعلنَ أنهن يرفضن الزواج ..

والمبرر ، فى هذه الحالة ، هو أن الزوج ( أى زوج ) شخص معقد تكدى ، يسعى للزواج من فتاة ما ، ليفرغ فيها كل عقده ومشكلاته النفسية والعصبية ، وأن هذا يحول الزواج ( أى زواج ) إلى جحيم رهيب ، تصبح العنوسة إلى جواره هى جنة الخالق ( عز وجل ) فى أرضه ..

والبعض يصدق هذه المقولة ..

ويثور لأن الفتيات لا يرغبن فى الزواج ..

ويتصور أن حديثهن هذا هو دعوة للفسق والفساد والفجور .. هذا لأنه لم ينتبه إلى أمر طريف للغاية ..

فكل من تردن هذه المقولة ، توافقن بلا تحفظ ، على أول عريس مناسب يتقدم ..

بل وتبدون فى سعادة غامرة ..

وتقاتلن فى شراسة للفوز به ، فى بعض الأحيان ..

هى ليست مسألة مبدأ إذن ..

ليست رفضاً للزواج فى حد ذاته ..

والواقع أن رفض الفتاة ( أو حتى الرجل ) للزواج ، هو

أمر غير طبيعى ، ويعنى أن صاحبه ليس شخصاً سويًا ،

بأى حال من الأحوال ..

فحتى حيوانات الأدغال ، تحتاج إلى رفيق يؤنس وحدتها ..

ومعظمها يكتفى برفيق واحد ، لا يتغير طوال العمر ..

المشكلة إذن هى فى وجود الشخص المناسب ، الذى يصلح

للعب دور العريس ..

والمشكلة الحقيقية ، عند بعض البنات ، هى أنهن يرسمن

فى أذهانهن صورة مثالية أكثر مما ينبغى لعريس المستقبل ..

وخاصة لو كانت البنت جميلة ، أو ثرية ، أو تحمل شهادة

عليا ..

ففى هذه الحالة يراودها شعور بأنها عروس ( لقطعة ) ،

وينبغى أن تحصل على عريس ( سوبر ) ، تثبت به لكل

صاحباتها وصديقاتها أنها الأفضل ..

بلا منازع ..

لذا ، فهى ترفض شخصًا لأنه أصلع الرأس ، وآخر لعدم

لباقته ، وثالثًا لأنه لم يعن باختيار رباط عنقه ، ورابعًا لأن أمه

لم ترق لها ..

ومع مرور الوقت ، وتقدمها فى العمر ، ينخفض عدد

المتقدمين ..

ولكن الصورة المثالية لا تتزحزح ..

فلا بد أن يكون العريس فى وسامة ( حسين فهمى ) ،

وأناقة ( كمال الشناوى ) ، ولباقة ( عمر الشريف ) ، وثناء

( بيل جيتس ) ، و ... و ... و ...

ويتوالى الرفض ..

ويقل عدد المتقدمين أكثر ..

وأكثر ..

ثم تأتي مرحلة الصمت ..

الكل أدرك أن هذه الفتاة لا تريد زوجًا ..

إنها تبحث عن تحفة جميلة نادرة ، تصلح للتباهى بها ،

أمام الصديقات والزميلات والجيران ..

وتوضع على حياتها لافتة ( لم يتقدم أحد ) ..

وفي الوقت ذاته ، تخطب زميلاتها الأقل جمالاً وثراءً ..

ويتزوجن .. وينجبن ..

وهنا تقفز البنت إلى الإجراء الدفاعي مباشرة ..

وتعلن أنها ترفض الزواج ..

وأنها لم تجد بعد الرجل الذي يستحقها ..

وفي الوقت ذاته ، فهي تحرص على أن تكون الأجمل

والأحلى ، والأكثر أناقة وخفة ظل في النادي ..

والعمل ..

وبين الصديقات ..

وبالذات الصديقات المخطوبات أو المتزوجات ..

وكإجراء وقائي ، وخشية على خطابهن وأزواجهن

من النشل ، تبتعد عنها الصديقات ..

وتخلو حياتها رويدًا رويدًا ..

وتعبر حاجز الثلاثين المخيف ..

ثم فجأة ، تدعو الجميع لحفل خطبتها لعريسها الأصغر

القصير ، ذى الابتسامة البلهاء ..

لم يعد كل هذا يهم ..

المهم أنه عريس ..

والسلام ..

وهذا بالطبع ليس النموذج السائد بين البنات ، اللاتي تأخرن

في الزواج ..

فهناك نوع آخر ، أكثر حنكة وذكاءً ..

نوع وافق على خطبة أول عريس معقول ..

وارتدى دبله الخطبة ..

وأثبت تفوقه ..

ثم واصل البحث عن عريس مناسب ..

وهذا سيغضب الكثير من البنات ..

ولكنهن سيدركن ، في أعماقهن على الأقل ، أن هذه النماذج

موجودة ..

وواقعية ..

وهذا لا يعنى أنها تعبر عن الغالبية العظمى ..

بل - وهذا ما أثق به تمامًا - فهي تعبر عن الأقلية ..

الأكثر وضوحاً ..

فلو أنك قمت بإحصائية جادة ، لأدركت أن الغالبية العظمى ،  
والأعم ، من فتياتنا العربيات ، هن بنات محترمات ، بسيطيات ،  
طيبيات القلب ، سليمات الطوية ..

وقبل أن يعترض أحد الشبان على هذا القول ، دعنى أنقل  
إليك سؤالاً ، طرحته على بنت مهذبة محجبة ، فى أثناء لقائى  
ببعض الأصدقاء ..

هل أخطأت بكونى محترمة وملتزمة !؟

السؤال طرحته فى مرارة شديدة ، اتجرح لها قلبى ،  
مع رفقتها الزائدة ، وذلك الحزن الذى حفر نفسه فى ملامحها ،  
وسنوات عمرها التى لم تتجاوز بعد ربع القرن ..

وما يؤلمها ويعذبها هو أمر يندرج تحت نفس العنوان ،  
الذى يعبر عن بحثنا هذه المرة ..

العريس ..

فهي فتاة محجبة ، فرض عليها حجابها ، كما ربتها تقاليدنا  
وعقيدتها ، على أنه من الخطأ أن تتبرج ، أو تتزين بأكثر مما  
ينبغى ، أو ترتدى ثياباً قصيرة أو ملفتة ..

ومن الخطأ أكثر أن تقيم أية علاقة مع الشباب ..

بخلاف زمالة الدراسة أو العمل ..

والبنت ، التى طرحنا السؤال ، ليست متعنتة أو مغلقة ،

بل هي على العكس ، فتاة واسعة الاطلاع ، ذكية ، لمأحة ، لها  
نشاط اجتماعى مميز ، بل وعضو باتحاد الطلاب فى كليتها ..

ولكن كل هذا لم يلفت انتباه شاب واحد ..  
أو رجل واحد ..

زميلاتها المتبرجات وحدهن حظين بكل الاهتمام ..  
وجذب كل الأنظار ..

وعندما حانت لحظة الاختيار والزواج ، تقدم لهن العشرات ،  
ممن يمتلكون السيارات الفاخرة ، والوظائف المحترمة ،  
والأسماء الرناتة ..

أما هي ومثيلاتها ، فقد سقطن من القائمة لبعض الوقت ..  
وعندما تقدم شاب ما لخطبتهن ، كان زميل دراسة أو عمل ،  
من راكبي الحافلات العامة ، وأصحاب الوظائف البسيطة ،  
والأسماء المغسورة ..

زميل ينبغى أن تكافح معه بكل طاقتها ، ليكنهما فى النهاية  
الحصول على عيش صغير ، ودراسة بالتقسيم المريح ، وأثاث  
يخفى فراغ العيش ..

لو أن هناك فراغاً كافياً ..

وفى الوقت الذى تقضى فيه لياليها مع الورقة والقلم ، فى  
محاولة لضبط ميزانية البيت ، والإقلال من اللحوم والأسماك  
لأسباب صحية ..

واقنصادية ..



تكون فيها زميلاتها غير المحترمات ، من وجهة نظرها ،  
يعاتين من الملل ، بعد أن غيرن سيارتهن للمرة العاشرة ،  
بأحدث طراز تم طرحه بالأسواق ، منذ أسبوع واحد ، وقضين  
وقتًا طويلًا مرهقًا تحت شمس النادى ، أو فى محل الكوافير  
والباديكير ، و ... و ...

وكل هذا يصيبها بإحباط ما بعده إحباط ..

إحباط يجعلها تتساءل : أكان ينبغى أن تلقى حجابها  
واحترامها ووقارها منذ البداية ، وترتدى كل مثير وخليع ،  
حتى تحظى بزواج مناسب ، يحقق طموحاتها فى الحياة ؟!  
الإجابة التقليدية طبعًا هو أنه لا ينبغى أن تفعل هذا أبدًا ..  
عليها أن تتمسك بقيمها ، وأخلاقياتها ، و ... و ...  
ولكن المشكلة أن السائلة تعلم كل ذلك ..

ولكنها ، وعلى الرغم من هذا ، ما زالت تشعر بالإحباط ..

وما زالت تتساءل : لماذا لا يتهافت الشباب والرجال إلا

على المتبرجات ؟!

لماذا لا يرون من البنات إلا الوجه الجميل ، والثوب الأنيق ،  
والسيقان العارية ، والصدور البارزة ؟!

لماذا لا يبحثون عن الأخلاقيات ، والقيم ، والاحترام ،

والتدين ؟!

ماذا أصاب الدنيا ؟!

وماذا أصاب الرجل ؟!

لماذا أصبحت المظاهر هى الفيصل ، فى الحكم على  
كل الأمور ؟!

حتى تلك الأمور شديدة الحيوية والأهمية ..

الأمور التى تحكم المستقبل ..

وأجيال المستقبل ..

والعجيب ، كل العجب ، هو أن الرجل ، الذى يتزوج فتاة  
بهرته بحركات جريئة ولففات أنيقة ، وثوب يكشف أكثر مما  
يخفى ، يمضى معظم حياته وهو لا يشعر بالثقة ، فى تلك التى  
اختارها شريكة لهذه الحياة ..

وفى معظم الأحوال ، نجده يضرب حولها حصارًا من القلق  
والشك والغيرة ..

هذا لأنه لم يتبع قول الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) :  
« اختر ذات الدين تربت يداك » ..

لقد اختار ذات الجمال والدلال والميوعة والثياب  
اللافتة ..

وترك خلفه أخرى ، تشعر بالغضب والغضب والإحباط ، ثم  
لا تلبث أن تلجأ إلى الخطة الدفاعية نفسها ..

فاى



سلسلة جديدة

روايات مصرية للحب

# عملية الأستاذ

الجزء الثانى



د. نبيل فاروق

المؤسسة العربية الحديثة

بيروت - لبنان

طبعة ١٩٨٥

٦٨

المرأة مشكلة .. صنعها الرجل ..

وتعلن أنها ترفض الزواج ، ما دامت مقاييس الرجال فى  
الاختيار قد اختلفت إلى هذا الحد ..

وتدور الدائرة من جديد ..

وتنشأ مشكلة جديدة من مشاكل المرأة ..

التي صنعها الرجل .

★ ★ ★

( وإلى اللقاء مع الفصل القادم بإذن الله )

## عملية الأستاذ

### ملخص ما سبق نشره

● كمحاولة لمنع الرئيس ( السادات ) من إعلان الإيقاع بضابط مخابرات إسرائيلى ، فى خطابه إلى الشعب المصرى ، قام الإسرائيلىون بعملية انتحارية ، فى مطار ( جى. إف. كيه ) فى ( نيويورك ) ، نجحوا خلالها فى اختطاف رجل المخابرات المصرى الفذ ( رفعت ) ، وطلبوا أن يستبدل به جاسوسهم ( إيليا ) ، مع منع الإعلان عن سقوطه ، حتى لا يسىء هذا إلى صورتهم فى العالم أجمع ..

ولأن الأمور ليست بهذه البساطة ..

ولأنه ليس من السهل أن تستسلم المخابرات المصرية لأمر كهذا ، فقد تقرر أن يخوض المصريون المعركة ..

وبمنتهى القوة ..

والحزم ..

والعنف ..

وفى سبيل هذا ، أرسلت المخابرات المصرية فريقًا محدودًا إلى ( نيويورك ) ..

فريقًا يتكوّن من اثنين فحسب ..

هذه القصة لم تحدث من قبل ..

أو ربما حدثت ..

أو أن بعضها حدث ، وبعضها لم يحدث ..

ضعها فى عقلك حسبما يتراءى لك ..

ولكن المهم أنها تحمل توقيع الوطن ..

توقيع ( مصر ) ..

د . نبيل فاروق

( نسيم ) ... و ( فاي ) ..

كان على الأول أن يضع خطة القتال ، وفقاً لما يتوصل إليه من معلومات جديدة ، على أرض المعركة ، في حين يسعى الثاني لتنفيذها ، بكل ما يمتلك من قوة ومهارة ..

وانتبه الإسرائيليون إلى اللعبة ..

وقرروا التفرقة بين المخطط والمنفذ ..

ولأنهم قد فقدوا كل أثر لـ ( فاي ) ، فقد ركزوا جهودهم

كلها على ( نسيم ) ..

وفي متجر بقالة ضخمة ، حاصر الإسرائيليون ( نسيم ) ،

الذي لم يجد أمامه سوى بلطة الطوارئ ..

وانتزع ( نسيم ) البلطة من موضعها ..

واقترح الإسرائيليون الثلاثة المكان ..

وفي الخارج ، سمع الجميع دوى ثلاث رصاصات ..

ثم ساد الصمت ..

التام (\*) .

★ ★ ★

## ٤ - المخطط ..

نفث الرئيس ( السادات ) دخان غليونه الشهير ، وهو يحاول الاسترخاء في ذلك المقعد الكبير في مكتبه ، ويلقى نظرة على ساعته ، قائلاً :

- الثالثة والنصف صباحاً هنا يا ( كمال ) .. أي حوالى الثامنة

والنصف مساءً في ( نيويورك ) .. المفترض أن يكون رجالك

هناك الآن .. ألم تبلغك أية أخبار عنهم بعد ؟!

أوما مدير المخابرات المصرية برأسه ، مجيباً :

- بلى يا سيادة الرئيس .. رجلاً في ( نيويورك ) الآن ،

ولقد بدءا مهمتهما على الفور .

سأله الرئيس ( السادات ) في قلق :

- وماذا عن الإسرائيليين ؟!

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وزفر في توتر ، مجيباً :

- كالمعتاد يا سيادة الرئيس .. يتحركون في عنف وشراسة

إلى أقصى حد .

نفث الرئيس دخان غليونه مرة أخرى ، وقال :

- إنها ورقتهم الأخيرة يا ( كمال ) .

غمغم مدير المخابرات :

(\*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول ، في الكتاب رقم ( ٢٧ ) من

كوكتيل ٢٠٠٠ ( الوريث وقصص أخرى ) ..

- ورقة خاسرة باذن الله يا سيادة الرئيس .  
أشار إليه الرئيس ، قاتلاً :

- أهو مجرد رأي متفائل يا ( كمال ) ؟!  
أجابه مدير المخابرات في سرعة :

- لقد أرسلنا أفضل رجالنا يا سيادة الرئيس ، ومن المؤكد  
أنهم سيبدلون قصارى جهدهم للفوز ..... كالمعتاد .

أوما الرئيس برأسه متفهماً ، وقال :

- فلندع الله ( سبحانه وتعالى ) ، أن تكفل جهودهم هذه  
بالنجاح .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

- فسيبينى بشدة أن يمضى خطابى الليلة ، دون الإشارة  
إلى ذلك الإسرائيلى .

صمت مدير المخابرات بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- لست أظن رجالنا يسمحون بهذا يا سيادة الرئيس .

نفث الرئيس دخان غليونه ، وهو يغمغم :

- أتعثم هذا يا ( كمال ) .. أتعثم هذا .

نطقها في هدوء عجيب ، أدهش مدير المخابرات نفسه ..

هدوء يخفى عاصفة عاتية ، تنطلق في أعماق الرئيس ..

عاصفة بلا حدود .

★ ★ ★

من المؤكد أن تلك المواجهة ، فى المخزن الخلفى لمتجر  
البقالة الكبير ، فى قلب ( نيويورك ) ، لم تكن أولى مواجهات  
( نسيم ) مع الإسرائيليين ..

ولكنها كانت أكثرها دقة ..

فقد كان رجل المخابرات المصرى يقف وحيداً ، حاملاً بلطة  
طوارىء ، فى مواجهة ثلاثة من رجال المخابرات الإسرائيلية ،  
انقضوا عليه من الأمام والخلف ، وكل منهم يحمل مسدساً آلياً  
قويًا ..

وبحسبة بسيطة ، يمكننا أن ندرك أن النتائج لا يمكن أن  
تأتى لصالح ( نسيم ) ..  
أبداً ..

ولكن من قال : إن مثل هذه الأمور ، تخضع فى المعتاد ،  
لأية قواعد معروفة ؟!

لقد اقتحم الإسرائيليون الثلاثة ذلك المخزن ، ومسدساتهم  
متحفزة للانطلاق ، وهم واثقون تماماً من الظفر ..  
وما إن لمحوا ( نسيم ) ، حتى ضغطت سبّاباتهم أزنده  
مسدساتهم بلا تردد ..

وانطلقت رصاصاتهم تدوى فى المكان ..

ولكن ما من رصاصة منها أصابت هدفها ..

هذا لأن الهدف ، وبكل بساطة ، لم ينتظر الإصابة ..

لقد تحرك ( نسيم ) بأقصى سرعته ، وخبرته الطويلة ، فى مواجهة الخطر ، فانزلق أرضاً فى خفة ، وترك جسده ينخفض دفعة واحدة ، وهو يلقي البلطة التى يحملها ، بكل ما يملك من قوة ، نحو الإسرائيليين ( مورو ) و ( درو ) ..

وفى نفس اللحظة ، التى انغرست فيها البلطة فى صدر ( مورو ) ، وانتزعت من مكانه ، لتضرب به الجدار ، وهو يطلق صرخة ألم رهيبية ، كان ( نسيم ) يقفز إلى الأمام ، ويقبض على معصم ( درو ) ، ثم دار حول هذا الأخير فى خفة ، لا تتناسب قط مع سنوات عمره ، وذلك الشعر الأشيب ، الذى يغمر رأسه ، وجعل من خصمه درعاً لجسده ، ويده تترك معصمه ، وتندفع إلى الأمام ، لتقبض على يده ، وتضغط سبأته فوق زناد مسدسه عنوة ، وهو يرفع فوهة ذلك المسدس نحو ( فيليب ) ..

وفوجئ ( فيليب ) بالرصاصات تنهمر عليه ، من مسدس زميله ، الذى قاوم فى عنف ، وهو يصرخ ، محاولاً التخلص من ( نسيم ) ، الذى شل حركته تماماً :

- اتركنى أيها المصرى .. اتركنى .  
ولكن أصابع ( نسيم ) بدت كالقولاذ ، وهى تسيطر عليه ، وتواصل إجباره على إطلاق النار نحو رفيقه ، و ( نسيم ) يدفعه إلى الأمام فى قوة ..

وقفز ( فيليب ) يحتسى بهرم من البضائع فى المخزن ، وهو يهتف :

- ذلك المصرى الـ ...

قبل أن يتم عبارته سمع صوت لكمة قوية ، أعقبها صوت ارتطام بالأرض ، فأدرك أن ( نسيم ) قد أفقد ( درو ) وعيه .. والأخطر من هذا ، أنه قد استولى على مسدسه .. وهذا يعنى أن كفتى الميزان قد تساويتنا الآن ..  
رجل لرجل ..

وبكل مقت و غضب ، صاح ( فيليب ) :

- على الرغم من كل ما فعلته ، لن تتجو منى أبداً أيها المصرى .

ارتفع صوت بوق سيارة شرطة أخرى قادمة ، فتضاعف توتر ( فيليب ) ، وهو يقبض على مسدسه فى قوة ، ويتحرك فى حذر ، خلف كومة البضائع ، هاتفاً :

- قلت لك : لن تتجو أبداً أيها المصرى .

تضاعف توتره ، عندما لم يتلق جواباً ، أو يسمع أية حركة من حوله ، فالتصق بصناديق البضائع أكثر وأكثر ، وراح يتحرك فى حذر عصبى ، محاولاً أن يستشرف موقع ( نسيم ) .. ثم تعالى وقع أقدام ، تعدو نحو المخزن ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وألقى سبأنا ساخطاً ، ثم اندفع نحو الباب الخلفى للمخزن ، هاتفاً :

- فليكن أيها المصري .. سنوَجِّل القتال لجولة قادمة .  
افتح مخزن المخبز ، في نفس اللحظة التي وثب فيها  
خارجة ، وانطلق يعدو بكل قوته ، فصرخ أحد الشرطيين :  
- ها هو ذا .

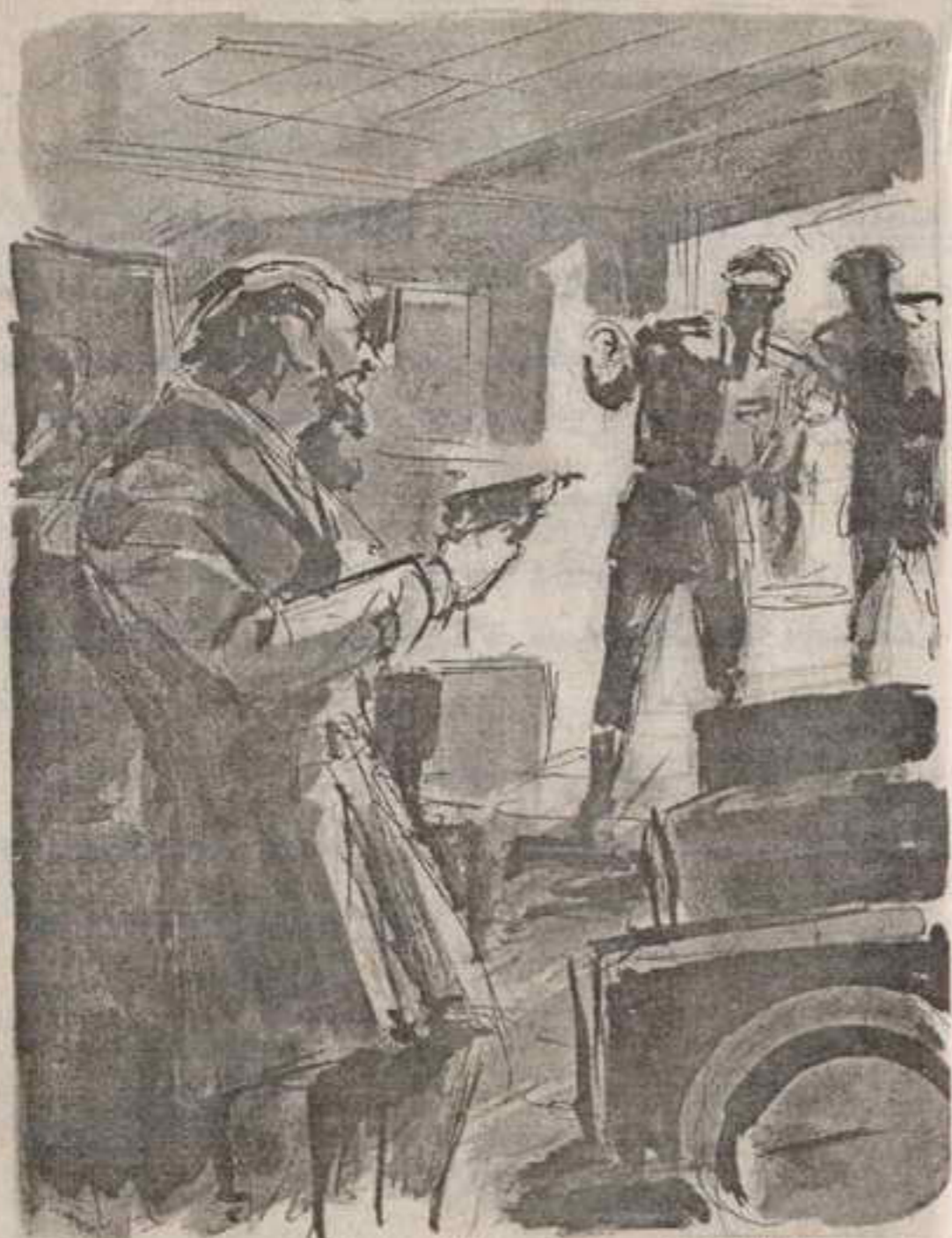
وانطلق كلاهما خلف الإسرائيلي ، وأحدهما يصرخ :  
- تَوَقَّف وإلا ..

استدار ( فيليب ) في سرعة ، وأطلق رصاصات مسدسه ،  
ليطيح بأحد الشرطيين ، ثم وثب إلى الأمام ، محاولاً بلوغ  
سيارته ..

ولكن الشرطي الثاني صرخ :  
- تَوَقَّف .

وضغطت سبائبه زناد مسدسه ، بكل قوته وعصبية وتوتره ..  
وانطلقت الرصاصات تخترق ظهر ( فيليب ) ، وتدفعه إلى  
الأمام في عنف ، ليرتطم بسيارته في قوة ، ثم يسقط أرضاً ..  
وفي توتر شديد ، هتف الشرطي ، ومسدسه يرتجف في يده :  
- أنت أجبرتني على هذا .. أنت الذي ..

نهض ( فيليب ) من سقطته ، والدماء تنزف من صدره في  
غزارة ، وهتف بكل مقت الدنيا ، وهو يرفع مسدسه نحو  
الشرطي :  
- أيها الـ ..



استدار ( فيليب ) في سرعة ، وأطلق رصاصات مسدسه ، ليطيح  
بأحد الشرطيين ..

وبكل ذعره ، ضغط الشرطي زناد مسدسه مرة أخرى ..  
وعادت رصاصاته تنطلق ..

وفي هذه المرة ، اخترقت كلها صدر ( فيليب ) ، واقتلعته  
من مكانه ، كما لو أنه قد تلقى أقوى لكمة في الكون ، وأطاحت  
به متراً ونصف المتر إلى أعلى ، ليسقط على سقف سيارته ،  
وتندفق الدماء منه كالسيل ، لتغمرها على نحو مخيف ..

وكما يحدث في كل بلاد الدنيا ، ازدحم المكان فجأة بالمارة  
الفضوليين ، الذين أحاطوا بالسيارة والشرطي ، في نفس الوقت  
الذي تصاعدت فيه أصوات أبواق سيارات شرطة وإسعاف ،  
تتجه نحو المكان ..

ووسط كل هذا الهرج والمرج ، بدا ( نسيم ) شديد الهدوء ،  
وهو يغادر متجر البقالة ، ويشير لواحدة من سيارات الأجرة ،  
التي تساعل سائقها في فضول :

- ماذا حدث ؟!

أجابه ( نسيم ) في بساطة :

- حادثة انتحار على الأرجح .

ثم استرخى في السيارة ، وهي تنطلق به نحو هدف جديد ..  
مجهول ..

★ ★ ★

« كارثة ! »

هتف ( راف ) بالعبارة في عصبية شديدة ، وهو يضع  
سماعة الهاتف ، ويلتفت إلى ( يازوسكى ) ، مستطرداً :

- رجالنا كلهم سقطوا .. ( فيليب ) و ( مورو ) لقيا  
مصرعهما ، و ( درو ) في قبضة الشرطة .

انعقد حاجباً ( يازوسكى ) ، وهو يسأله في حدة :

- هل تخلصوا من ( نسيم ) ؟!

هز ( راف ) رأسه نفيًا في شحوب ، فضرب ( يازوسكى )  
سطح المنضدة أمامه بقبضته في حدة ، وهو يهتف بسباب  
ساخط ، قبل أن ينهض في عنف ، قائلاً :

- هؤلاء المصريون تجاوزوا حدودهم .

التفت إليه ( داني ) ، قائلاً :

- لو أردت رأيي ، فالأفضل أن ننقل رجلهم ، من مكتب  
( بروكلين ) إلى أي مكان آخر .

صاح ( يازوسكى ) في حدة :

- خطأ .. أي تغيير الآن هو خطأ جسيم .. ربما كان هذا هو

ما يسعون إليه منذ البداية .. أن نحاول تغيير مكان الأسير ،  
فنكشف لهم أمرنا .

قال ( راف ) في دهشة مستكرة :

- هل سنتركه هناك هكذا ، في حراسة ( دافيد ) و ( موشى )

و ( حام ) ؟!



أجابه ( يازوسكى ) فى صرامة :

- نعم .. سنتركه هناك هكذا ، ولكننا سنضاعف وسائل الحراسة والمراقبة ، دون أن يشعر أحد .

سأله ( داتى ) :

- وماذا عن ( نسيم ) ، وذلك الآخر ؟!

التفت إليه ( يازوسكى ) ، وهو يسأله فى صرامة :

- هل أنهيتهم صور ذلك الآخر ؟!

ناولته ( داتى ) مظلوفًا كبيرًا ، وهو يقول فى تردد :

- ها هى ذى ، ولكن ...

قاطعته ( يازوسكى ) ، وهو يختطف المظلوف بحركة حادة :

- ولكن ماذا ؟!

لم يحر ( داتى ) جوابًا ، وإنما تبادل نظرة شديدة التوتر مع ( راف ) ، فى نفس الوقت الذى راح فيه ( يازوسكى ) يراجع الصور ، التى تم التقاطها فى المطار ، فى سرعة ، وانعقد حاجباه مع احتقان وجهه ، وهو يلقي الصور فى وجهيهما ، هاتفاً فى غضب :

- ما هذا بالضبط ؟!

ازدرد ( داتى ) لعابه ، وهو يقول فى توتر :

- الإضاءة لم تكن كافية ، والشباب كان يتخذ زوايا غير ...

قاطعته ( يازوسكى ) فى غضب هادر :

- أغبياء .. لقد أضعتم فرصة نادرة ، قد لا يمكننا تعويضها أبداً .. إننا نقاتل الآن مجرد شبح ، ليست لدينا أية معلومات عنه ..

ثم عض شفتيه فى غيظ ، مستطردًا :

- وهذا أسوأ ما يمكن أن يحدث ، فى عالمنا هذا .

غمغم ( راف ) ، محاولاً تهدئته :

- يمكننا أن ننصب فخاً عند مكتب ( بروكلين ) ، و ...

قاطعته ( يازوسكى ) فى حدة :

- لو أنه بلغ مكتب ( بروكلين ) ، فسيغنى هذا أن العملية قد فشلت تمامًا .

ارتبك ( راف ) ، وهو يغمغم :

- كان مجرد اقتراح .

أجابه ( يازوسكى ) فى صرامة :

- اقتراح غبى .

ثم لوّح بذراعه فى حدة ، مستطردًا :

- لست أدري كيف تم قبولكما فى ( الموساد ) ، فما ينبغى فعله هو عكس ما تفكران فيه تمامًا .. لا ينبغى أبداً أن يصل

( نسيم ) ورفيقه إلى مكتب ( بروكلين ) .. بل علينا أن نصرف

أنظارهما عنه بكل وسيلة ممكنة ، خلال الخمس عشرة ساعة

القادمة ، حتى يضطر رئيسهما إلى إلقاء خطبته ، دون الإشارة

إلى زميلنا ( إيليا ) .

قال ( راف ) فى حماس :

- وماذا لو هددنا بقتل زميلهم ، لو لم يتوقفوا عن السعى

خلفنا !؟

رمقه ( يازوسكى ) بنظرة ازدراء ، قائلاً :

- لن يصدق أحدهم هذا بالطبع ، فهم محترفون مثلنا ،  
ويعلمون أننا لن نتخلص منه إلا فى حالة اليأس التام ؛ لأننا لو  
قتلناه ، فما الذى سيمنع من كشف أمر سقوط ضابطنا عندهذا !؟

بدا الحرج على وجه ( راف ) ، فى حين قال ( داني ) :

- لدى فكرة لصرف أنظار المصريين .

التفت إليه ( يازوسكى ) بنظرة متسائلة ، فتابع فى حماس :

- سنحضر شخصاً يشبهه فى الهيئة والحجم ، ونتظاهر بأننا  
تنقله من مكان ما إلى آخر ، تحت حراسة مشددة ، وسيوحى  
إليهم هذا بأننا ننقل رجلهم ، فيسعون خلفنا ، ويقاثلون  
لتخليصه ، مما يمنحنا الفرصة للتعامل مع زميلهم الحقيقى ،  
بأية وسيلة نشاء .

اتعقد حاجبا ( يازوسكى ) ، وهو يقول فى صرامة :

- خطة طريفة ، ولكنها سخيفة للغاية يا هذا ، فخصمنا

( نسيم ) هذا ضابط مخبرات مخضرم ، ومخطط من الطراز

الأول ، وسيدرك من الوهلة الأولى أنها خدعة لجذب أنظارهم ،

و ...

بتر عبارته بغتة ، وازداد اتعقاد حاجبيه ، وعقله يدير الأمر  
مرات أخرى فى سرعة ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إلى الرجلين ،  
قائلاً بلهجة عجيبة :

- ولكن هذا لا يمنع من أنها فكرة جيدة .

ثم ارتسمت على شفثيه ابتسامة شرسة ، وهو يضيف :

- مع قليل من التعديل .

نطق عبارته الأخيرة ، وراحت ابتسامته الشرسة تتسع ..

وتتسع ..

وتضاعفت شراستها ..

ألف مرة ..

★ ★ ★

- آه فهمت .

وأنهى المحادثة ، ملتفتاً إلى ( رفعت ) ، المقيّد إلى مقعد ضخم ، وقال بلهجة ساخرة :

- من الواضح أنك تثير اهتمام الجميع أيها المصري .

أجابه ( رفعت ) فى برود :

- وهل يحنقك هذا !؟

هزّ ( دافيد ) رأسه فى قوة ، وهو يقول :

- بل يشعرنى بأهمية ما فعلناه يا هذا .

ثم استلّ مسدسه من حزامه ، مستطرداً فى صرامة :

- وعلى أية حال ، لقد صدرت أوامر جديدة بشأنك .

تركزت عينا ( رفعت ) على المسدس ، وهو يقول :

- إنها لا تتعلق بالتخلص منى بالتأكيد ، فلن يمكنكم فعل

هذا ، قبل أن يلقي الرئيس خطبته بالفعل .

ارتفع حاجبا ( دافيد ) ، وهو يهتف فى دهشة :

- إذن فقد فهمت اللعبة .

انعقد حاجبا زميله ( موسى ) ، وهو يشعل سيجارته ، قائلاً

فى عصبية :

- هذا المصري ذكى للغاية ، وسيسبب لنا الكثير من

المشكلات .

ابتسم زميلهما ( حام ) ، وهو يقول فى سخرية :

## ٥- الأسير ..

ألقى رجل ( الموساد ) ( دافيد ) نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى العاشرة مساءً بتوقيت ( نيويورك ) ، وهو يستمع إلى ( يازوسكى ) عبر الهاتف ، ويغمغم :

- عملية نقل !؟ فى هذه الساعة !؟

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستمع فى اهتمام شديد ، قبل أن يغمغم :



- أية مشكلات أيها المأفون؟! إنه بين أيدينا ، مقيدًا في مقعده ، و ...

قبل أن يتم عبارته هتف ( رفعت ) بغتة ، وهو يطوح قدمه إلى أعلى :

- لا تنطقها بكل هذه الثقة .

ضربت قدمه المسدس من يد ( دافيد ) ، فطار في الهواء ، وهذا الأخير يصرخ ، منقضًا على ( رفعت ) في غضب :  
- أيها المصري الـ ...

كان ينقض بمنتهى العنف والثقة ، باعتبار أن خصمه مقيد ، و ...

ولكن فجأة ، انقضَّ عليه ( رفعت ) بدوره ..

قفز من مقعده بغتة ، واستقبل ( دافيد ) بكلمة كالثقبلة ، أطاحت بهذا الأخير ثلاثة أمتار إلى الخلف ، قبل أن يسقط أرضًا في عنف ..

وفي حركة مدهشة ، وثب ( رفعت ) يلتقط مسدس ( دافيد ) ، الذي ركله منذ لحظة واحدة ، قبل أن يسقط أرضًا ، ثم استدار يواجه به ( موسى ) و ( حام ) ، الذين استوعبا المفاجأة بسرعة مدهشة ، تليق بالمحترفين ، وهبا يواجهانه بدوريهما ..

وانطلقت رصاصات ( رفعت ) ..

ورصاصاتهما ..

واخترقت رصاصات ( رفعت ) صدر ( حام ) ، وألقته أرضًا مضرجًا في دمايه ، في حين أصابت إحدى رصاصات ( موسى ) ذراع ( رفعت ) ، و ...

وانقضَّ ( دافيد ) مرة أخرى ..

كان ( رفعت ) يدير فوهة مسدسه ، ليطلق النار على ( موسى ) ، عندما باغته ( دافيد ) من الخلف ، وهوى على رأسه بمنفضة سجائر ثقيلة ..

ودار رأس ( رفعت ) ، وهو يحاول الاستدارة ، لمواجهة خصمه الجديد ..

ولكن ( موسى ) انقضَّ بدوره ، وكبّل ذراعي ( رفعت ) من الخلف ، فهوى ( دافيد ) على رأسه بضربة أخرى ، صارخًا :  
- هيا .. افقد وعيك أيها المصري .. هيا .

كان أكثر ما يتمناه ( رفعت ) ، في هذه اللحظة بالذات ، هو أن يتحدى الإسرائيلي ، ويظل محتفظًا بوعيه ، و ...  
ولكن للبشر قدراته ..

أي بشر ..

لذا فقد أظلمت الدنيا بشدة أمام ( رفعت ) ..

وانتهى كل شيء دفعة واحدة ..

وفي حنق ، انحنى ( موسى ) يفحص ( حام ) ، قبل أن يهتف في غضب ، وهو ينقض على ( رفعت ) الفاقد الوعي .

- لقد قتله .. هذا المصري الحقيير قتله .. أقسم أن ...  
 أمسك به ( دافيد ) في شدة ، وهو يقول في صرامة عصبية :  
 - رويدك يا رجل .. الأوامر أن نحفظ به حيًا ، بكل وسيلة  
 ممكنة .

لوح ( موشى ) بمسدسه ، وهو يهتف :

- حيًا؟! ألم تر ما فعله هذا المصري اللعين؟! لقد تجاوز  
 الخمسين من العمر ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أمكنه التخلص  
 من قيوده ببراعة مذهلة ، وهاجمك كشاب في العشرين ، ثم  
 قتل ( حام ) برصاصات صائبة!! كيف يمكن أن نتركه حيًا ،  
 بعد كل هذا .

أجابه ( دافيد ) ، في صرامة أكبر :

- الأوامر هي الأوامر .

احتقن وجه ( موشى ) بضع لحظات ، في غضب هادر ، ثم  
 لم يلبث أن أعاد مسدسه إلى غمده ، وهو يغمغم :  
 - يا للسخافة !

تراجع ( دافيد ) بدوره ، وقال :

- يمكننا أن نقيده بالسلاسل هذه المرة .

غمغم ( موشى ) في سخط :

- أشك أن يفلح هذا .

هزّ ( دافيد ) رأسه ، وقال :

- اظمنن .. لقد صدرت أوامر جديدة بشأنه .

سأله ( موشى ) في توتر :

- أية أوامر .

صمت ( دافيد ) لحظة ، قبل أن يجيب في حزم :

- أوامر عجيبة .

ولم يزد حرفًا ..

واحدًا ..

★ ★ ★

« ( فای ) .. هل تسمعنى؟! »

تسللت العبارة إلى أذن الشاب ، عبر جهاز الاتصال الصغير ،

المتثبت على رأسه ، فأجاب في سرعة :

- أسمعك جيدًا يا سيدي .. أنت بخير؟!!

أجاب ( نسيم ) في هدوء :

- كل شيء على ما يرام .. لا تقلق بشأنى .. اهتم بمهمتك

الأساسية فحسب .

غمغم الشاب :

- كما تأمر يا سيدي .

سأله ( نسيم ) في اهتمام :

- أين أنت الآن؟!!

أجابه الشاب ، وهو يعدّ بندقيته :

- على سطح المبنى المواجه لمكتب ( الموساد ) فى (بروكلين) .

صمت ( نسيم ) لحظة ، قبل أن يسأله ، فى لهجة تحمل لمحة حذر :

- ولماذا لم تتجه إلى ذلك المخزن !؟

أجابه الشاب فى بساطة :

- كان أوضح مما ينبغى يا سيدي .

خيل إليه أنه يرى ابتسامة ( نسيم ) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول فى ارتياح :

- أحسنت .

ثم سأله ، مستعيداً اهتمامه :

- ماذا تفعل عندك !؟

أجابه الشاب ، وهو يصوب بندقيته إلى الجدار المجاور لنافاذة المكتب فى إحكام :

- لقد وصلت على الفور يا سيدي .

ثم ضغط زناد البندقية ، مضيقاً :

- وهأنذا أبدأ عملي .

نقل جهاز الاتصال صوت انطلاق البندقية المكتوم ، فقال ( نسيم ) فى حماس :

- هل أطلقت جهاز الاتصال !؟

تابعت عينا الشاب جهاز الاتصال الدقيق ، الذى أطلقه من بندقية خاصة ، وهو ينغرس فى الجدار ، على بعد سنتيمترات من نافذة مكتب ( الموساد ) الرئيسية ، ثم أجاب فى اقتضاب :

- نعم يا سيدي .

سأله ( نسيم ) فى اهتمام شديد :

- ما الذى ينقله إليك جهاز الاتصال !؟

أدار الشاب مؤشر جهاز صغير أمامه ، وهو يجيب :

- يبدو أنه هناك شجار يدور فى الداخل .. و ...

بتر عبارته بغتة ، فهتف ( نسيم ) :

- ماذا حدث !؟

كان الشاب ينهض فى حزم ، وهو يجيب :

- هناك دوى رصاصات ، من مسدسات مزودة بكواتم للصوت .

هتف ( نسيم ) :

- يا إلهي ! إنه هناك .. أسرع يا فتى .. تحرك فوراً .

أجابه ( فاي ) فى حزم ، وهو يتحرك فى خفة ، ليتسلق

برجاً صغيراً على السطح :

- لقد فعلت .

مضت لحظة من الصمت ، قال ( نسيم ) بعدها ، عبر جهاز

الاتصال :

- على بركة الله .. الاتصال للضرورة فحسب .

قالها ، وأنهى الاتصال من ناحيته ، ليفسح للشاب مجال الحركة ، دون أية معوقات ..

وهذا ما كان يحتاج إليه ( فای ) بالتحديد ..

وما يجيده بالتأكيد ..

ففى سرعة وخفة ، جذب من حزام حول وسطه حلقة ناقصة ، ثبتها فى سلك سميك ، يمتد من السطح الذى يقف فوقه ، إلى سطح مبنى مكتب ( الموساد ) ..

ثم وثب من السطح ..

وفى سرعة ، انزلق جسده ، من سطح إلى آخر ، على ارتفاع يزيد على الأربعين متراً ، وسط ظلام ليل ( نيويورك ) .. وما إن تجاوز جسده حافة سطح المبنى الآخر ، وبحنكة وخبرة وسرعة مظلئ سابق ، أفلت ( فای ) حزام صدره ، وترك جسده يثب نحو السطح ، ويهبط فوقه بمنتهى الرشاقة ..

ولثوان ، ظل جامداً فى مكانه ، قدماه على السطح ، وركبته منثنيتان ، وأصابع يميناه تلمس السطح لمساً ؛ ليتأكد من أن أحداً لم يلحظ هبوطه ، أو ينتبه إليه ..

لم يكن من الحكمة أن يحيط الإسرائيليون مكتبهم ، الذى يحتفظون فيه بأسيرهم ، بحراسة تفوق المعتاد ، حتى لا يلفتوا إليه الأنظار ..

ولكن من المؤكد أنهم يخفون شيئاً ما ..

شيئاً قد لا ينتبه إليه أى متسلل عادى ..

لذا ، فقد بقى الشاب جامداً لفترة طويلة ، كما لو أنه قد صار جزءاً من المكان ..

وعندما اطمأن إلى أن كل شىء هادئ وطبيعى ، عاد يتحرك بخفة مدهشة ..

كان يرتدى زياً أشبه بزى رجال الصاعقة ، من اللونين الأسود والرمادى ، وحذاءً بعنق طويل ، وقفازين رقيقين ، وحزامه يحمل كل ما يحتاج إليه من أسلحة .. تقريباً ..

وفى سرعة ، فحص السطح كله تقريباً ، ثم انتقل إلى حافته ، وانتزع من حزامه لفة من الحبال ، ربط طرفها فى مدخنة قوية ، ثم ألقى الطرف الآخر ، ليتدلى إلى قرب النافذة الرئيسية لمكتب ( الموساد ) ..

وكإجراء أخير ، حوّل نذبذة جهاز الاتصال ، المثبت على رأسه ، والأشبه بسماعات جهاز تسجيل حديث ، من تلك الأجهزة التى لم تكن متوافرة آنذاك ، إلى نذبذة جهاز التنصت ، المغروس إلى جوار النافذة ، وهو يستعد للهبوط بالحبل ، و ... « هل تعنى أننا سننقله من هنا ؟! »

نقل إليه جهاز التنصت عبارة ( موشى ) المستنكرة ، وأعقبها صوت ( دافيد ) ، وهو يقول فى صرامة :

- أديك حل آخر !؟

مضت لحظة من الصمت ، قال ( موسى ) بعدها فى حدة :

- ومن سيهتم !؟

ثم ساد صمت مقلق ، امتزج بأصوات غير مميزة ، فاتعقد حاجبا الشاب ، وتجمد فى مكانه بضع لحظات ، قبل أن يتخذ قراره ، ويتعلق بالحبل فى قوة ..  
ويثب ..

كان مدرّبًا على نحو مدهش ، حتى إنه راح ينزلق بوساطة الحبل ، على جدار المبنى ، من هذا الارتفاع الشاهق ، فى براعة مدهشة ، وكأنما يسير الهوينى ، فى شارع واسع ممهد ، وسط حدائق غناء ..

وطوال الوقت ، لم يتلق جهاز الاتصال ، سوى أصوات تحركات خافتة ..

ثم ساد صمت تام ..

وانزلق الشاب بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

كان ذلك الصمت التام يقلقه ..

بشدة .

وما إن بلغ النافذة ، وألقى نظرة حذرة عبرها ، حتى تضاعف قلقه هذا ..



وفى سرعة ، فحص السطح كله تقريبًا ، ثم انتقل إلى حافته ، وانتزع من حزامه لفة من الحبال ..



ألف مرة ..

فقد كانت ردهة المكتب الرئيسية ، التي تطلّ عليها النافذة

خالية ..

كانت آثار المعركة واضحة فيها ..

ولكنها خالية ..

تماماً ..

وبسرعة ، نقل الشاب موجة الاتصال ، وهو يقول :

- من الخفاش الليلي .. إلى العرش .. المكتب تم إخلاؤه

بسرعة .. لا يوجد أحد .

أتاه صوت ( نسيم ) ، وهو يسأله :

- أنت بالداخل !؟

أجابه في سرعة :

- بل عند النافذة .

صممت أجهزة الاتصال لحظة ، قبل أن يعود صوت ( نسيم )

صارماً ، وهو يقول :

- العرش يرغب في تقرير دقيق ، أيها الخفاش الليلي .

أجاب الشاب في حزم :

- سمعاً وطاعة يا سيدي .

قالها ، وثبت الحبل في حزامه جيّداً ، ثم التقط من الحزام

نفسه أداة رفيعة ، راح يعالج بها رتاج النافذة من الخارج في

سرعة ، حتى أزاحه ، ورفع النافذة ، ووثب داخل الردهة

الواسعة ، وهو يحلّ الحبل من حزامه ..

كان المكان هادئاً صامتاً بالفعل ، وكل شيء فيه يشفّ عن

المعركة ، التي دارت منذ قليل ..

قيود ( رفعت ) الممزقة ..

المقعد المقلوب ..

آثار الرصاصات والدماء على الأرض والجدران ..

وفي خفة ، التقط الشاب مسدسه من غمده ، وراح يتنقل

من حجرة إلى أخرى ، قبل أن يقول في خفوت :

- من الخفاش الليلي إلى العرش .. المكان خال بالفعل ،

وهناك أثر معركة عنيفة دارت فيه .. قتيل واحد على الأقل .

حمل صوت ( نسيم ) كل توتر الدنيا ، وهو يردد :

- قتيل !؟

أجابه الشاب :

- الدماء تغمر الأرض وبعض الجدران ، و ...

بتر عبارته بغتة ، فهتف به ( نسيم ) في توتر :

- ماذا حدث !؟

ولكن الشاب لم يجب ..

لقد التقطت أذناه صوتاً خافتاً ، جذب كل انتباهه ، وجعله

يتجاهل سؤال رئيسه ، وهو يعود إلى الردهة في حذر زائد ،

و ...

وفجأة ، اتبعث ذلك الصوت من خلفه ..  
وبوضوح أكثر ..

وبكل سرعته ، استدار ( فای ) إلى مصدر الصوت ..  
ولمح رجلين ضخمين ، يندفعان من مدخل سرى خفى نحوه ،  
وكل منهما يحمل مسدسًا آليًا ، مزودًا بكاتم للصوت ..  
وقبل حتى أن تكتمل استدارته ، ضغط الرجلان زنادي  
مسدسيهما ، و ...  
وانطلقت الرصاصات .

★ ★ ★

## ٦ - خدعة جهنمية ..

سرت موجة عنيفة من التوتر ، فى كيان ( نسيم ) ، مع  
انقطاع الاتصال المباغت ، فهبَّ من مقعده ، داخل ذلك المنزل  
الآمن ، الذى يدير منه معركته ، وهتف فى عصبية :

- ترى ماذا حدث !؟

اعتدل ( طارق ) ، وهو يقول :

- أتظنه فخًا يا سيدي !؟

لوح ( نسيم ) بكفه ، مجيبًا :

- احتمال أضخم مما ينبغى .

وتحرك فى المكان بعصبية أكبر ، متابعًا :

- لقد درّبت ذلك الفتى بنفسى ، بعد ما تسلّمته من أستاذه

الأول ( رفعت ) ، وأدرك جيدًا أن باستطاعته مواجهة أية

مفاجأة ، واستيعابها بسرعة ، والتعامل مع أقوى الرجال ،

ولكن ..

قال ( طارق ) فى حيرة :

- ولكن ماذا يا سيدي ؟ مع وصفك هذا ، لا يوجد لكن .

لوح ( نسيم ) بسبابته ، قائلاً :

- الإسرائيليون ليسوا أغبياء .. إنهم يعلمون أننا لسنا هنا في رحلة سياحية ، وأنا نسعى حتماً لاستعادة رجلنا ، بأفضل ما لدينا ومن لدينا ، وسيبذلون قصارى جهدهم للقضاء على الشاب ، كما حاولوا هذا معي .

قال ( طارق ) :

- ولكنهم لا يعرفونه .

أجاب ( نسيم ) في حزم :

- لو صح ما أخشاه ، فهم يعرفونه الآن .

ثم أشار إليه ، مستطرداً في صرامة :

- ولكن لدينا مراقبين آخرين ، حول كل مكاتب ( الموساد ) ،

وأحدهم يراقب مكتب ( بروكلين ) .. أجز اتصالك به على الفور ،

ليبلغنا ما يراه .

هَبَّ ( طارق ) إلى الهاتف على الفور ، وراح يجرى

الاتصال ، و ( نسيم ) يواصل الدوران في المكان ، مغمغماً

لنفسه :

- اهدأ يا ( نسيم ) .. اهدأ .. لا تقع فيما تنصح الآخرين

بتفاديه .. لا تفقد أعصابك ، وقدرتك على التفكير السليم ، في

أحلك المواقف .

والعجيب أن كلماته هذه كان لها تأثير السحر في نفسه ،

وكانما اعتادت أن تستجيب له بكل خضوع ، فما إن انتهى

منها ، حتى سرى الهدوء في عروقه ، واتبعت من عقله إشارة خاصة ، تعلن أنه مستعد للعمل بكل طاقته ، في نفس اللحظة التي هتف فيها ( طارق ) ، وهو يناوله سماعة الهاتف :

- مراقب ( بروكلين ) .

التقط ( نسيم ) الهاتف ، وسأل المراقب على الفور :

- ماذا يحدث عندك !؟

أجاب الرجل في توتر واضح :

- الكثير يا سيدي .. كنت سأجرى اتصالي بكم على الفور ،

لو تأخرتم ثواني معدودة .

سأله ( نسيم ) ، والتوتر يعاوده :

- ماذا يفعلون !؟

أجاب الرجل :

- لقد وصلت سيارة كبيرة ، وهناك استعدادات واضحة ،

توحى بأنهم يستعدون للتحرك من هنا .

انعقد حاجباً ( نسيم ) في شدة ، وهو يغمغم :

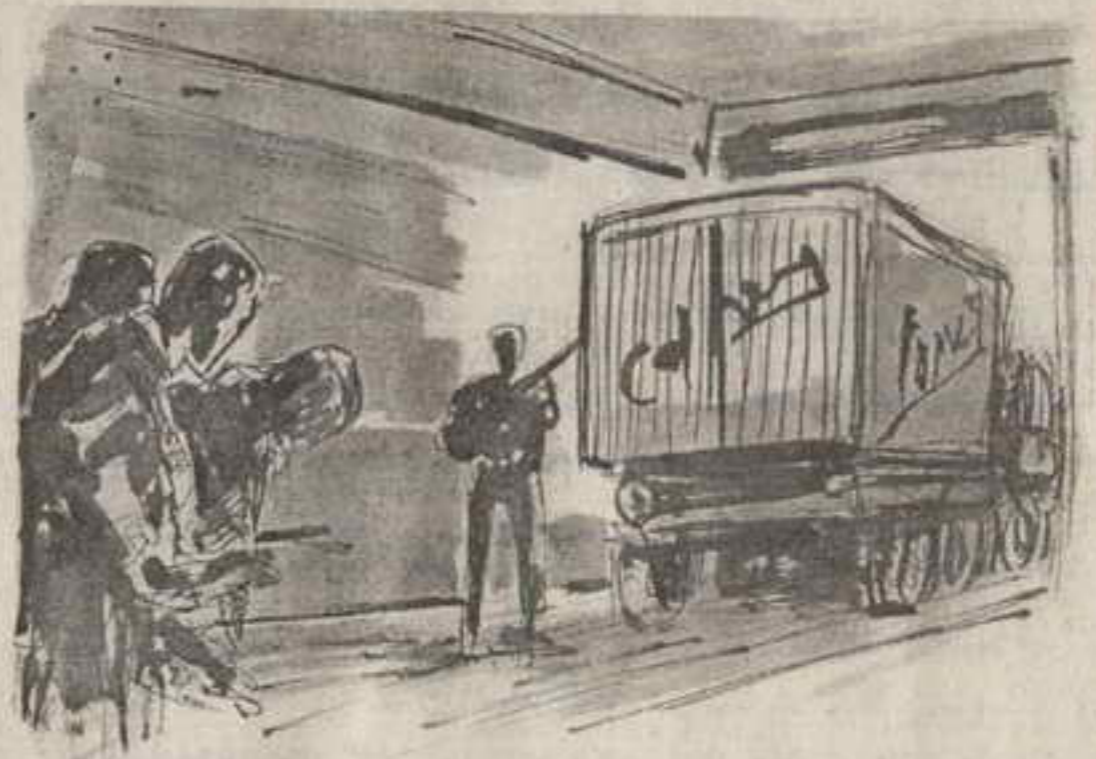
- استعدادات واضحة !؟

ثم أضاف في حزم :

راقب الموقف جيداً يا رجل ، وأبلغني أية تطورات أولاً فاولاً .

قالها ، وأنهى المحادثة ، وقد حملت كل خلية من خلاياه

أمارات التفكير العميق ..



تُرى ما الذى يفعله الإسرائيليون بالضبط؟!  
أية استعدادات تلك التى يتخذونها؟!  
ولماذا؟!

كل الدلالات توحى بأن ( رفعت ) فى هذا المكان بالفعل ..  
أو أنه كان كذلك ..  
ولكن هناك آثار قتال ..  
واستعدادات ..  
واضحة ..

ذلك الوضوح بالتحديد هو ما يقلقه ..  
إنه يبدو كما لو أن الإسرائيليين يتعمدون جذب انتباههم ..  
وأن ( رفعت ) ليس هناك ..  
كل القواعد التى تعلمها فى شبابه ، ويعلمها لمن يتولى  
تدريبهم من الشباب ، تؤكد هذا ..  
أى رجل مخابرات بسيط يعلم هذا ..  
ويدركه تمام الإدراك ..  
حتى الإسرائيليون يعلمون هذا ..  
ويعلمون أن المصريين يعلمونه أيضاً ..  
فلماذا إضاعة الوقت ، فى مثل هذه السخافات؟!  
لماذا؟!

التقى حاجباه أكثر وأكثر ، وعقله يعتصر هذا الموقف ،  
ويعيد دراسته أكثر ..  
وأكثر ..  
وأكثر .

ثم ارتفع رنين الهاتف ..  
وبسرعة البرق ، التفت ( نسيم ) سماعته ، ووضعها على  
أذنه ، دون أن يقول شيئاً ، فسمع صوت مراقب ( بروكلين ) ،  
وهو يهتف فى انفعال :

- إتهم يتحركون الآن يا سيدي .. السيد ( رفعت ) معهم ..

إنهم يدفعونه عبر الممر الطويل ، الذى تنتظر سيارتهم فى نهايته ، من الواضح أنه مصاب ، وهم يخفون وجهه ، ولكننى أعرفه جيدًا .. لقد عملت معه لعام كامل .

ولم يعلق ( نسيم ) على الهاتف ، على الرغم مما يحمله من معلومات مخيفة ..

( رفعت ) بينهم ..

وبكل هذا الوضوح ..

كيف !؟

ولماذا !؟

من يضمن أنه ليس فحًا آخر !؟

من يضمن أنها ليست لعبة ثانية ، للإيقاع به وبالشباب ، فى

حالة فشل الفخ الأول !؟

وهتف مراقب ( بروكلين ) ثانية :

- إنهم يتجهون بالسيد ( رفعت ) إلى السيارة يا سيدى ..

ماذا سنفعل !؟

ومرة أخرى ، لم يحر ( نسيم ) جوابًا ..

فالموقف كان يحتمل كل الاحتمالات ..

كلها بلا استثناء ..

ولا بد له من أن يحسم أمره ..

وأن يتخذ قراره ..

بمنتهى الدقة ..

والسرعة ..

هتف مراقب ( بروكلين ) ، فى انفعال بلا حدود :

- ماذا سنفعل يا سيد ( نسيم ) !؟

ودار الأمر كله فى رأسه مرة أخرى ..

لا يمكن أن يتصرف الإسرائيليون بهذه السخافة ..

إلا إذا ..

قفز الاحتمال إلى رأسه بغتة ..

وبدا منطقيًا للغاية ..

إلى أقصى حد ..

وبسرعة ، وما إن استقر الأمر فى ذهنه ، حتى ضغط زر

جهاز اتصال الطوارئ ، وهو يصيح :

- من العش إلى الخفاش الليلي .. الغربان تنقل النسر إلى

وكر آخر .. المدخل الأمامى .. سيارة سوداء كبيرة .. انطلق

أيها الخفاش .. انطلق فورًا ..

كان يدرك جيدًا أن ( فای ) سيتلقى هذا النداء ، حتى ولو

كان جهاز الاتصال التقليدى مغلقًا ..

ولكنه لا يدري ما الحالة التى سيكون عليها ، عندما يتلقى

النداء ..

هل سيكون على قيد الحياة !؟

أم ؟!

وكانت الاحتمالات هذه المرة أيضاً مخيفة ..  
للعناية !

\* \* \*

لم يكد الشاب يشعر بتلك الحركة خلفه ، حتى استدار إلى  
مصدرها ، بأسرع ما يمكنه ..

ومع استدارته السريعة ، لمح رجلى ( الموساد ) ..  
وانزلق ..

انزلقت قدماه على دماء ( حام ) ، التي تغرق الأرضية ..  
وفقد توازنه ..

وسقط ..

وفي نفس لحظة سقوطه ، أطلق الإسرائيليان رصاصات  
مسدسيهما ..

وانطلقت الرصاصات فوق رأس ( فاي ) ..  
وتجاوزته ..

وكان هذا يعنى أن رجلى ( الموساد ) قد فقدوا عامل المفاجأة ..  
تماماً ..

ففى اللحظة التالية ..

أو فى الجزء التالى من الثانية ..

وقبل حتى أن يلمس جسده الأرض ، كان الشاب يهبط واقفاً ،  
ويواجه خصميه ..

ويطلق النار ..

مسدسه أيضاً كان مزوداً بكاتم للصوت ..

لذا ، فقد انطلقت رصاصته بصوت خافت مكتوم ، فاخترقت  
عنق أحد الإسرائيليين ، وأصابته كتف الثانى ، الذى أطلق النار  
مرة أخرى فى غضب ، وهو يهتف :  
- أيها الـ ..

قبل أن يكتمل هتافه ، كان ( فاي ) قد دار حول نفسه فى  
خفة ، متفادياً الرصاصة ، وأطلق رصاصته الثانية ، ليطيح  
بالإسرائيلى ..

وتدفقت دماء أكثر وأكثر على الأرضية ..

وتجمد الشاب فى مكانه ، متلفتاً حوله فى توتر ..  
لقد كان فخاً ..

الإسرائيليون كانوا يعلمون ، على نحو أو آخر ، أنه قادم ..  
وتركوا من ينتظره ..

ولكن ما الذى يعنيه هذا ؟!

أكان الأمر مجرد فخ ؟!

ألم يكن السيد ( رفعت ) هنا منذ البداية ؟!

ألم .....

قبل أن يكتمل سؤاله الثانى ، شعر بشيء آخر يقترب ..  
وتلفت حوله فى توتر ..

ثم فجأة ، انقطع التيار الكهربى ..

وغرق المكان فى ظلام دامس ..

ومع الظلام ، اقترب ذلك الشىء أكثر ..

واقترب ..

واقترب ..

وأطلق الشاب طلقة أخرى ، من مسدسه المزود بكاتم

للصوت ، نحو البقعة ، التى أنبأته أذناه بأن ذلك الشىء يقترب

منها ..

ومع الوهج الذى أحدثته الرصاصة ، رأى الشاب خصمه ..

وفى اللحظة ذاتها ، انطلقت زمجرة من حلق ذلك الخصم

الألمانى الضخم ، وهو يثب نحوه ، ويغرس أنيابه فى معصمه ..

كان كلبا ضخما ، من طراز ( دوبرمان ) ، مدرب على

الانقضاض والهجوم ، دون أن يفصح عن نفسه ، أو يصدر

عنه أدنى صوت ..

ومع انغراس الأنياب فى معصم الصبى ، أفلت مسدسه

مضطربا ، وسقط أرضا ، وهو يقاوم الكلب بكل قوته ..

ودون أن يصدر عنه أيضا أدنى صوت ..

ومن بعيد ، سمع وقع أقدام تعدو مقتربة ..

وصوت يهتف :

- امسكه يا ( تيجر ) .. لا تسمح له بالإفلات ..

كان ( تيجر ) يطلق زمجرات مخيفة ، ويضرب بمخالبه ،

وأنيابه تفلت معصم الشاب ، وتنقض على عنقه فى شراسة

ووحشية ..

ولم يكن هناك مجال للتفكير ..

أو الرحمة ..

فالكلب الضخم يهاجم كالنمور المفترسة ..

والآخرون يعدون نحو المكان ..

ولقد فقد مسدسه ..

وتوازنه ..

وفى نفس اللحظة ، اشتعل جهاز اتصال الطوارىء ، المثبت

على أذنه اليسرى ، وانبعث منه صوت ( نسيم ) ، وهو يهتف

فى انفعال شديد ، ندر أن يصدر عنه مثله :

- من العش إلى الخفاش الليلى .. الغربان تنقل النسر إلى

وكر آخر .. المدخل الأمامى .. سيارة سوداء كبيرة .. انطلق

أيها الخفاش .. انطلق فوراً ..

وهنا حسم ( فای ) الأمر ..

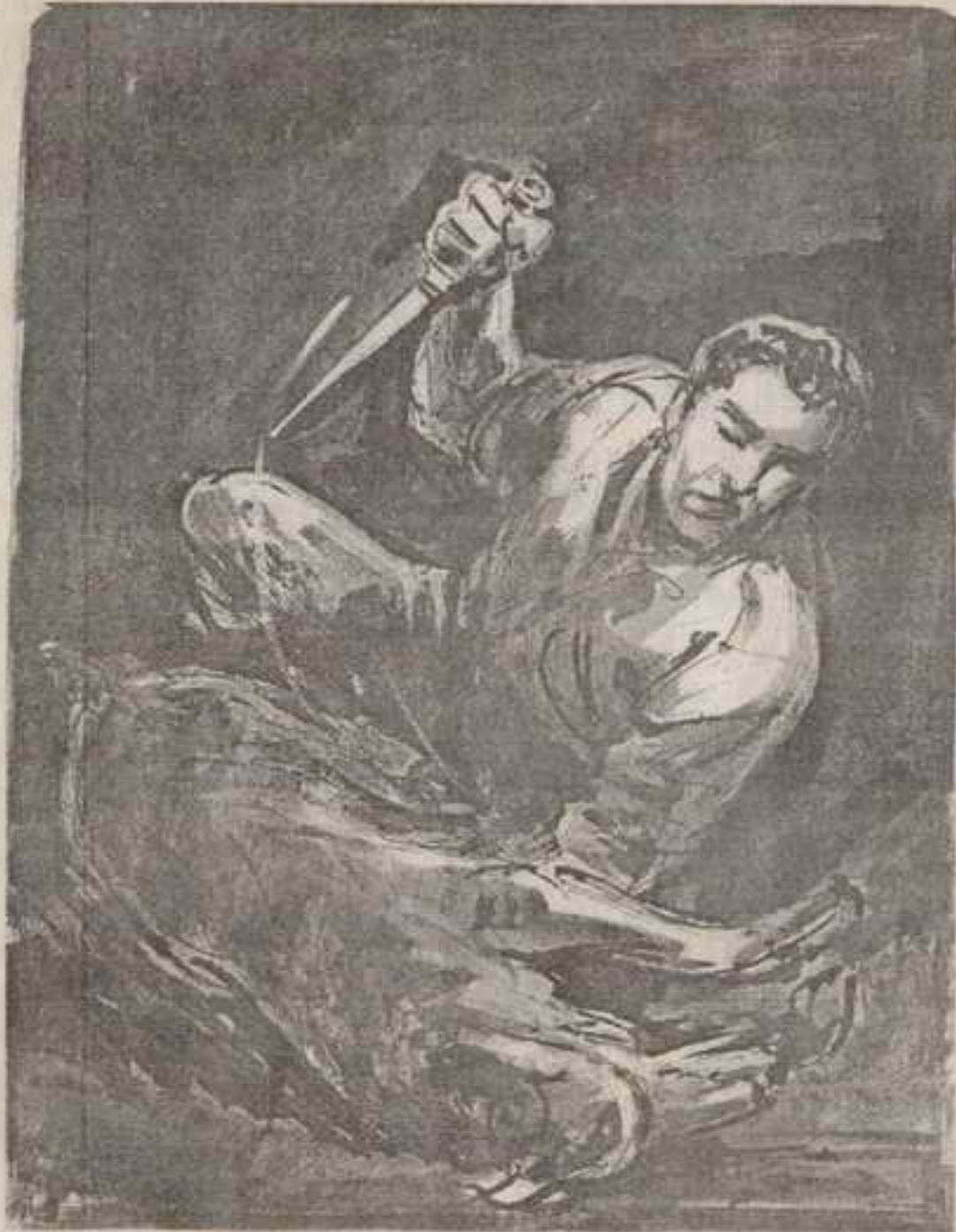
لم يعد يشعر بمخالب ( تيجر ) ..

أو أنيابه ..

لم يعد يشعر بأى شىء ، سوى أن عليه أن ينطلق فوراً

لتنفيذ المهمة ، التى طار من أجلها ، من ( القاهرة ) إلى

( نيويورك ) ..



زمجرة تحمل مزيجًا من الألم والذعر ، عندما اخترق خنجر الشاب قلبه ، قبل أن يدفعه بعيدًا ..

أن ينفذ العملية ..

عملية الأستاذ ..

وبسرعة مذهشة ، وإرادة فولاذية ، استل خنجرًا ، من غمد

خاص في حذائه ، و ...

وانطلقت زمجرة أخرى من حلق ( تيجر ) :

- زمجرة تحمل مزيجًا من الألم والذعر ، عندما اخترق خنجر

الشاب قلبه ، قبل أن يدفعه بعيدًا ، وهو يهب واقفاً ، ويغمغم

في شيء من الأسف :

- أنت أجبرتني على هذا .

ولم تكذ غمغمته تكتمل ، حتى أضىء المكان بغتة ، وانبعث

صوت يهتف :

- ها هو ذا !

ومع الهتاف ، ارتفعت فوهات ثلاثة مدافع آلية قصيرة ..

ولكن هتافًا آخر كان يتردد في عقل الشاب ..

ووعيه ..

وكيانه كله ..

« انطلق أيها الخفاش .. انطلق فورًا .. »

وانطلق الخفاش ..

ومن خلفه ، انطلقت رصاصات المدافع الثلاثة ..

ولكن الشاب لم يتوقف ..



كان عليه أن يقاتل من أجل نجاح المهمة ..  
 مهما كان الثمن ..

ولما كان المكان مغلقاً ، إلا من النافذة ، والباب الذي يقف  
 عنده خصومه الثلاثة بمدافعهم الآلية ، فقد انطلق الشاب نحو  
 المنفذ الوحيد ..

ووثب ..

وثب عبر النافذة المفتوحة ..

من ارتفاع عشرة طوابق ..

★ ★ ★

( البقية في الكتاب القادم من كوكتيل ٢٠٠٠ بإذن الله )

روايات مصرية الجيب

كوكتيل  
٢٠٠٠



مذكرات طبيب

المؤسسة العربية الحديثة  
 الطب والعلوم والتاريخ  
 ٢٠٠٠ - ٢٠٠٠ - ٢٠٠٠  
 القاهرة

أو لأنه ليس من السهل أن يكتب المرء عن نفسه ..

وحياته ..

وذكرياته ..

ولكن شيئاً ما ، لست أدري كنهه بالضبط ، جعلنى أحسم

ترددى هذا .

شئ ما ، جعلنى أعجز عن مقاومة رغبتى فى كتابة هذه

المذكرات ..

ربما لأنها أحداث مرت عليها خمس عشرة سنة أو أكثر ،

وخشيت أن تذوب فى بحر الذاكرة ، فتفقدنى وأفقدنا ..

أو ربما لأن المرء يحتاج أحياناً إلى التحدث عن ذكرياته ..

ربما .

المهم أن هذه الأوراق بين يديكم الآن ..

اعتبروها مجرد عمل أدبى ..

وهذا سيكفينى ..

تماماً ..

و نبيل فاروق

★ ★ ★

## مقدمة

هذه الخواطر هى سيرة ذاتية ..

وعمل أدبى ..

جزء من هذا ، وشئ من ذلك ..

إنها ذكريات لفترة من فترات حياتى ، ربما كان لها الفضل ،

بعد الله ( سبحانه وتعالى ) ، فيما أصبحت عليه الآن ..

فقد بدأت تلك الفترة طبيياً عادياً ، من منات الأطباء ، الذين

حصلوا على شهادتهم الجامعية ، وأنهوا فترة التدريب الإجبارى

( الامتياز ) ، ثم انتقلوا لقضاء فترة التكليف الإجبارية ..

وانتهت وأنا أضع قدمى على أول سلمة فى مشوار طويل ،

كان ولا يزال مصدر متعنى الوحيد ..

الأدب ..

والقلم ..

والأوراق ..

ولقد تمنيت كثيراً أن أكتب هذه الذكريات والمذكرات ..

وترددت أكثر فى كتابتها ..

ربما لأننى خشيت ألا يتقبل القارئ فكرة أن يضيع الكاتب

( أى كاتب ) بعض الأوراق ، فى الحديث عن نفسه ..

هو أن من يرتكب خطأ لا يغتفر في الحكومة ، يتم نقله إلى الصعيد ..

وكانت العبارة تقال - آنذاك - على نحو أشبه بالنقل إلى الجحيم نفسه ..

وبعد هذه الديباجة السابقة ، أعتقد أنه سيدهشكم بحق أن تعلموا أن تكليفي بالعمل في ( قنا ) لم يكن نوعاً من العقاب ، أو حتى من المفاجأة بالنسبة لى ..

لقد كانت الرغبة الأولى ، التى كتبتها على رأس استمارة الترشيح للتكليف ..

والسؤال الذى سيقفز إلى أذهانكم حتماً هو لماذا؟! لماذا يلقي طبيب شاب نفسه فى ذلك الجحيم ، دون أن يكون مضطراً لهذا؟! ..

والجواب أيها السادة هو دبلّة الخطوبة .. نعم .. ففى ذلك الحين ، كنت قد ارتبطت بخطبة زوجتى

الحالية ، وهى وحيدة والدها ، الذى لم يمكنه أن يهضم أبداً خطبتها لطبيب شاب ، فى بداية حياته ، استدان ثمن دبلتى الخطوبة ، ولا يملك سوى راتبه الضخم ، الذى يقل عن الخمسين جنيهاً بعدة جنيهاً ( كثيرة ) ..

ولكن لأنها ابنته الوحيدة ، وتصرّ على الارتباط بهذا الطبيب المفلس بشدة ، وهو لا يرغب فى لعب دور ( زكى رستم )

## ١ - الصعيد ..

« قنا »

سرت قشعريرة باردة فى جسدى ، وأنا أقرأ اسمى ، فى كشف أطباء التكليف ، دفعة ديسمبر ١٩٨٠ م ، وأمامه اسم محافظة ( قنا ) ، إحدى أكبر محافظات الصعيد ..

بل لعلها أكبر محافظات الصعيد على الإطلاق ، أو أطولها ، فهى تمتد من ( أبو تشت ) شمالاً وحتى ( اسنا ) جنوباً ، مروراً بـ ( نجع حمادى ) و ( دشنا ) و ( قنا ) و ( الأقصر ) ، وكلها أماكن سياحية أو صناعية شهيرة ..

وهذا ما أعرفه الآن ..

أما عندما قرأت اسمى فى ذلك الكشف ، فكل ما كنت أعلمه ، هو أن ( قنا ) هى إحدى محافظات الصعيد .. وفى ذلك الحين ، كانت كلمة ( الصعيد ) هذه تبدو مبهمّة مخيفة ، بالنسبة لسكان وجه بحرى ، فهو اسم يرتبط بالصرامة ، والعنف ، والنار ..

والعقاب أيضاً ..

بل وربما كان ( العقاب ) هو المرادف الطبيعى لكلمة ( الصعيد ) ، فى تلك الفترة من الزمن ، إذ كان أهم ما نعلمه

أو (سراج منير) ، الذى يقف فى وجه ابنته ، ويحطم قلبها ، فقد وجد أن أفضل وأذكى وسيلة ، هى أن يتخمنى بطلبات مرهقة ، من مهر وشبكة وخلافه ، حتى اضطر إلى الانسحاب ، فى نفس الوقت الذى يرسم هو فوق رأسه تاج القديسين ، وبراعة الأطفال فى عينيه ..

ولأننى لم أكن أدرك أيامها أن الرجل طيب وحنون للغاية ، وأن قليلاً من الضغط سيجعله ينهار ويعترف ، فقد وافقت على كل طلباته ( التى ستبدو اليوم مضحكة ، مقارنة بما يطلبه الأهل الآن من لبن العصفور إلى شعر الهدهد اليتيم إلى سوارى (كسرى) ، وأنا أعلم أن هذا سيجشمنى ما لا أطيع ، لعدة سنوات قادمة ..

باختصار ، تَقَمَّصت دور (أبو على) ، وليس فى جيبى ثمن تذكرة أوتوبيس ، للعودة إلى منزلى ( من حسن الحظ أننى من مواليد (طنطا) ، ولا توجد ضرورة حتمية هناك للأوتوبيس ..

ولأن أهل الخير كثيرون فى بلدنا هذا ، فقد انهالت على النصائح من كل صوب ، وراح الكل يقترح أى شىء ممكن ، للحصول على المال اللازم ، لإتمام الخطبة والزواج ..

وبعد استبعاد الاقتراحات الخاصة بتهريب المخدرات ، والإتجار فى البضائع المهربة ، والعمل كقاتل محترف ، ولأننى لا أصلح بالطبع لمهنة الراقصة ، فلم يعد أمامى سوى اقتراحين لا ثالث لهما ..

إما أن أفتح عيادة ..

أو أسافر إلى منطقة (داخلية أو خارجية) ، يمكننى منها

جنى بعض المال ..

وبعد مناقشة قصيرة جداً ، باستخدام قواعد العقل والمنطق ، تم استبعاد فكرة العيادة من الأساس ، لأن تكاليف فتحها تكفى للخطبة والزواج ، وربما الإنجاب وتعليم الأطفال أيضاً ..

ثم إن فكرة الحصول على عقد عمل خارج البلاد ، كانت تبدو مضحكة ، بالنسبة لطبيب فى نهاية فترة الامتياز ، اللهم إلا إذا كان هذا العقد فى (كوالالمبور) أو بلاد (واق الواق) .. لذا فلم يعد هناك سوى البحث عن فرصة سفر إلى منطقة داخلية ..

وهنا اقترح أولاد الحلال محافظة (قنا) ..

وكانت حجتهم - حينذاك - هو أن الوزارة تمنحنا الحق فى العمل الخاص فى فترة التكليف ، بعد مواعيد العمل الرسمية ، كما أن من حقنا الحصول على مقابل للزيارات المنزلية ، وفى المناطق النائية ، مثل محافظة (قنا) ، يكون دخل هذا العمل كبيراً ، بالإضافة إلى حصولنا على علاوة إضافية ..

وعلى الرغم من جهلى التام - حينذاك - بما إذا كان هذا صحيحاً ، أو حتى قانونياً ، فقد قبلت الفكرة على الفور ( من باب اليأس بالشىء ) ، وطلبت أن أقضى فترة التكليف فى (قنا) ..

وظهرت النتائج ..

وقبلت الوزارة مطلبى ..

وهنا راحت السكره ، وجاءت الفكرة ..

( قنا ) ؟!

الصعيد ؟!

لقد قضيت فترة دراستى كلها فى ( طنطا ) ، وكان مجرد السفر إلى ( القاهرة ) يبدو أشبه بمغامرة غير مأمونة العواقب ..

فماذا عن السفر إلى ( قنا ) ؟!

أما خطيبتى ( زوجتى الحالية ) ، فقد استقبلت الخبر بوجوم وشحوب ، وخاصة عندما علمت أننا سنحصل على إجازة لمدة ستة أيام فحسب ، كل شهرين ..

ولكنها لم تعترض ؛ لأنها كانت تعلم مثلى أن هذا هو الحل

الوحيد ..

والمدهش أن والدها كان أكثر الجميع حزناً ، وأغزرهم انفعالاً وحناناً ، عندما ذهبت لوداعهم ، قبل سفرى إلى ( قنا ) مباشرة ..

فالحقيقة أن الرجل قد اعتبرنى ، ومنذ خطبتى لابنته ، ذلك

الابن الذى لم ينجبه أبداً ..

والمضحك أن الفكرة قد انغرس فى كيانه ، حتى إنه كان

يقول لخطيبتى أحياناً فى حماس :

- سلى أخاك .. هل يرغب فى تناول بعض الشاي ؟!

وكنت أنا أعترض ضاحكاً على صفة الأخوة هذه ، التى تحرمنى من الزواج منها ، ولكن لا أحد يمكنه أن يتصور سعادتى ، مع التلقائية والبساطة التى كان الرجل ( رحمه الله ) ينطقها بها ..

المهم أننى أصبحت مكلفاً للعمل فى ( قنا ) ..

وكان على أن أستعد للسفر إلى هناك ..

وفى أسرع وقت ممكن ..

وبناءً على هذا ، راحت أمى تعدّ الزاد والزواد ، باعتبار أننى مسافر إلى الصحراء والمجاهل المصرية ، ولكننى رفضت بشدة حمل أى طعام ( وما زالت هذه عادتى ، حتى لحظة كتابة هذه السطور ) باعتبار أنه ما دام سكان تلك المجاهل يجدون طعاماً لأنفسهم ، فلن أموت جوعاً هناك حتماً ..

وفى محاولة يائسة منها للاطمئنان ، أرادت أمى أن تعلمنى

كيفية طهى الأرز ، أو بعض الخضراوات البسيطة ..

وكما يحدث دوماً فى هذا المضمار ، باءت كل جهودها

ومحاولاتها بالفشل الذريع ..

وفى الثانى من مارس ، عام ١٩٨٢م ، حملت حقيبتى إلى

( قنا ) ، وأنا أتساءل :

- هل ستبدو كمدينة عادية ، أم أننى سأضطر لشراء رمح ،

لقتال الديناصورات الضخمة هناك ..

ولأولئك الذين يجهلون هذا ، كانت الرحلة ، من ( القاهرة ) إلى ( قنا ) تستغرق بالقطار المكيف اثنتى عشرة ساعة كاملة . لذا فقد بدأ القطار رحلته فى الثامنة من مساء الثانى من مارس ليصل إلى ( قنا ) فى العاشرة من صباح اليوم التالى ( راجع المدة المذكورة فى العبارة السابقة ، ثم تذكر أن هذا يحدث فى ( مصر ) ..

وأخيراً ، أصبحت فى ( قنا ) ..

مدينة صغيرة بسيطة ، بدت لى مزدانة متألفة ، على نحو غير مألوف ، فتصوّرت أنهم قد علموا بقدومى ، واستعدّوا لاستقبالى ، و .. وقبل أن أتحدى ، وألقى خطبة عصماء ، أو أصافح المارة فى الطرقات ، أخبرتنى لافتة كبيرة أن اليوم .. الثالث من مارس ، هو العيد القومى لمحافظة ( قنا ) .. وهكذا حملت حقيبتى الثقيلة ، ورحت أبحث عن مديرية الشئون الصحية القناوية ..

والناس فى ( قنا ) غاية فى الشهامة والسخاء والكرم ، لذا فلم أكد ألقى أوّل سؤال ، عن مكان المديرية ، حتى كان هناك من يحمل حقيبتى ، ومن يقدم لى كوباً من الماء البارد ، ومن يسير إلى جوارى إلى هناك ، مصرّاً على ألا يتركنى ، إلا بعد الاطمئنان إلى أن كل شىء على ما يُرام ..

وامتلأت نفسى بدهشة كبيرة ، مع شعور عارم بالامتنان ، وتساءلت لحظتها : لماذا يلقي البعض نكات عن الصعايدة !؟

والواقع أنه لو كان هؤلاء هم الصعايدة ، الذين يتحدثون عنهم ، فهذا يثبت أننا نحن أبناء بحرى ، الذين نستحق أن تقال عنا النكات ..

وبالمناسبة : مرّة واحد ... واللا بلاش ..

★ ★ ★

« مركز تدريب ( قفط ) .. »

نطقها الأستاذ ( شوقى ) ، مدير شئون الأفراد فى مديرية الشئون الصحية ، فى صرامة لم يكن لها ما يبررها ، وهو يناولنى أوراق تسلم العمل ، فترددت لحظة ، قبل أن أسأله :  
- وأين ( قفط ) هذه !؟

رمقتى بنظرة نارية غاضبة ، جعلتنى أنكمش فى مكاتى ، وأراجع كل معلوماتى الجغرافية ، بحثاً عن مدينة أو قرية تحمل اسم ( قفط ) ، قبل أن يأمر الأستاذ ( شوقى ) بإحضار الفلحة ، التى لا أعرف عنها سوى اسمها ، أو يطالب بإحالة أوراقى إلى المفتى ..

ولكن ملامح الأستاذ ( شوقى ) لانت فجأة ، وحملت ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- يا لجهل البحاروة ! ( قفط ) هذه واحدة من المدن الشهيرة ، فى طريق ( قنا ) ( الأقصر ) .. إنها تبعد خمسة أو عشرة كيلومترات فقط عن مدينة ( قنا ) ..

وبينما ينطق كلماته ، انتبهت إلى ظاهرة عجيبة ..  
فالصعادية ، كل الصعادية ، لا ينطقون حرف القاف ، وإنما  
يستبدلون به - فى المعتاد - حرف الجيم ..  
وعلى الرغم من هذا ، فمعظم مدن المحافظة تبدأ بحرف  
القاف ..

( قنا ) .. ( فقط ) .. ( نقاده ) .. ( قوص ) .. ( الأقصر ) ..  
وهم بالطبع ينطقونها ( جِنا ) ( جِفت ) .. ( نجادة ) ..  
( جوص ) .. ( الاجصر ) ..  
ولكن ما شأننا نحن بهذا ..

المهم أن الأستاذ ( شوجى ) .. معذرة ( شوقى ) أخبرنى أن  
سيارة المديرية ستحملنى ، مع بعض الأطباء الجدد ، إلى مركز  
التدريب فى ( فقط ) ، حيث سنتلقى علومنا الإدارية الأولى ،  
التي تؤهلنا للعب مع الشياطين ..

احم .. أعنى مع كتبة الوحدات الصحية ..  
ومنذ اللحظة الأولى ، كانت فى انتظارى مفاجأة فى ( فقط ) ..  
إنها ليست وحدة صحية ، وإنما مستشفى قروى ومركز  
لتدريب الأطباء الجدد ..

أو بالتحديد ثلاثون طبيباً شاباً ، سيقومون معاً ، فى صالة  
كبيرة ، تتراص فيها الأسرة ، كما يحدث فى الوحدات  
العسكرية ..

ثم إن الدولة ستكفل لنا الإقامة فحسب ..  
وليست التغذية ..  
وسقط قلبى بين ضلوعى ..  
كيف سأقيم مع كل هذا الحشد ، الذى لا تربطنى به أية  
صلة !؟

ثم ماذا سنفعل فى أمور التغذية !؟  
واسترجعت حديثى الأخير مع أمى ، ورفضى حمل أية  
مأكولات ، ورحت أبحث عن الحذاء ، الذى خلعتَه منذ قليل ..  
ليس لأرتديه ، ولكن لأضرب نفسى به ..

لماذا لم تجبرنى أمى على حمل الطعام !؟  
كان ينبغى أن تهددنى بمسدس ..  
أو حتى بمدفع آلى ..

ولكن هذا ما جنيتَه على نفسى ، ولم يجن على أحد ..  
ولكن ما باليد حيلة ..  
لا مفر من الاستسلام ..  
والجوع ..

ولكن ذلك الجوع ، كما يقولون ، كافر لا يرحم ..  
لذا كان من الضرورى أن نسعى جميعاً للبحث عن الغذاء ..  
ولكن الأسوأ أنه كان من المحتم أن نتولى أمر نظافة الغنبر  
أيضاً ..

ومع الأيام الأولى ، شعرت أننا لسنا في مركز تدريب ..  
بل في معتقل ..



كلًا .. لست أعتقد أن الوصف صحيح ؛ لأنه من المؤكد أن  
المعتقلين يجدون بعض الطعام على الأقل ..  
ولأننا غرباء ، والغريب أعمى ، ولو كان مبصرًا ، كما يقول  
المثل ..  
ولأننا أكسل من تنابلة السلطان أيضًا ، فإتينا لم ننتبه إلى

وجود سوق في ( قفط ) ، إلا بعد أن بدأ بعضنا يرى سرابًا ،  
من شدة الجوع والعطش ..  
الشيء الوحيد ، الذي كان يدفعنا إلى النشاط والحركة كان  
قطار القصب ..

وقطار القصب هذا هو قطار قديم ، يبدو لي أشبه بذلك  
النوع ، الذي كان يظهر في أفلام رعاة الأبقار الأمريكية ، فقط  
ليطارده الهنود الحمر ..

وفي ( قفط ) ، كان ذلك القطار القديم هو الوسيلة الوحيدة ،  
لنقل قصب السكر ، من الحقول إلى المصنع ..  
وكنا نحن الهنود الحمر ..

فما إن يلوح قطار القصب في الأفق ، أمام عيوننا وبطوننا  
الجائعة ، حتى ننفذ عن أنفسنا الكسل ، ويدب فينا نشاط إلهي ،  
وننطلق لنعدو خلف القطار ، للحصول على بعض القصب ..  
وبعض الشبع ..

ولست أدري كيف لم أنتبه ، إلا لحظة كتابة هذه السطور ،  
إلى ما في ذلك المشهد من غرابة ، في قلب الصعيد !!  
وأكاد أتصور إخواننا الصعايدة ، وهم يقفون في حيرة  
وبلاهة ، متطلعين إلى الأطباء المحترمين ، وهم يجرون  
بالبيجامات والشباشب ، خلف قطار القصب ..

ومن حسن الحظ أنهم لم يشاهدونا ونحن نأكله ..



هذا كان سيكفى ليَتصَوِّروا أن أبناء البحاروة من أكلة لحوم ..  
القصب ..

وهذا يكفى لإثبات أن الجوع يطلق صوت المعدة ..  
ويخمد صوت العقل ..

ويبدو أن جوعنا قد أثار شفقة أحد الزملاء ، وكان من  
محافظة ( قنا ) نفسها ، فتكرّم بإحضار كيس من الخبز  
الشمسى ( وهو نوع من الخبز الصغير ( المدمك ) ، الذى يتم  
تخميره فى أشعة الشمس ، قبل وضعه فى الفرن ، و( بطة ) ..  
نعم .. إنكم لم تخطنوا القراءة ..  
لقد أحضر لنا ( بطة ) ..

ولكن لا تفزعوا ، أو تتصوِّروا أن الأطباء الثلاثين قد  
انقضوا كالوحوش على تلك البطة البرينة المسكينة ( المذبوحة  
طبعاً ) ..

فالواقع أن ذلك الزميل ( الخبيث ) لم يفعل هذا ، إلا بعد أن  
اطمأن إلى أن الجميع تقريباً قد انهاروا ، وفروا عائدين إلى  
بلادهم ( ربما لتناول وجبة أو وجبتين ) ، ولم يتبق منا سوى  
سبعة بالإضافة إليه ..

أى أنه كان لكل منا ثمن بطة ..

وهذا يعدّ وجبة دسمة متخمة ، لمن اعتاد تناول جناح  
عصفور كل ثلاثة أيام ..

هذا لو أصيب العصفور بأزمة قلبية ، وسقط ميتاً من تلقاء  
نفسه ..

المشكلة الوحيدة أن السادة الزملاء أصرّوا على أن أقوم أنا  
بطهو البطة !!

لقد أصابنى نفس ما أصابكم من فزع ، وحاولت إقناعهم  
بإرجاء التجربة إلى مناسبة أخرى ، يكون فيها أحدهم قد منّ علينا  
بعلبة سردين أو تونة ، ولا داعى للمخاطرة بالبطة المسكينة ..  
ولكنهم أصرّوا ..  
وأصرّوا ..

ولم يعد أمامى سوى الاستسلام ..  
والبكاء على البطة ..

وشمّرت عن ساعدى ، وحاولت أن أسترجع ولو سطرًا  
واحداً ، من دروس أمى عن الطهى ..  
أو حتى عن طرق إشعال الموقد ..

ولقد كان لدينا موقد واحد صغير ، يمكنك أن تصنع عليه  
كوبًا من الشاي ، خلال مدة قياسية ، لا تزيد على الأسبوعين ..  
وكان من المفترض أن أطهو البطة وكثيراً من الأرز ، على  
هذا الموقد ..

وهكذا استيقظت من السادسة صباحاً ، ووضعت كثيراً من  
الماء ، فى الحلة الوحيدة لدينا ، وألقيت فيه الأرز ، ووضعتّه  
على الموقد الصغير ، وجلست أنتظر ..

وَأنتظر ..

وَأنتظر ..

وَأيضاً أنتظر ..

وفي منتصف النهار ، بدأ الماء يغلي ..

وكانت معجزة ..

وبحسبة بسيطة ، أدركت أن البطة سيتم طهيها خلال أسبوع على الأقل ، وهذا بعد أن ينتهي طهو الأرز ، في الصباح التالي على الأرجح ..

وهنا تفتق ذهني عن فكرة عبقرية ..

وبمنتهى الهمة ، صنعت حفرة كبيرة في قلب الأرز ..

ودفنت فيه البطة ( دون أن أترك بصماتي في مسرح الجريمة بالطبع ) ..

وفي حيرة ، سألتني زملاء :

- أهذا ممكن !؟

وبمنتهى الحماس والثقة ( الزائفة ) ، هتفت :

- بالطبع .

ولم يعترض أحد ؛ لأنهم ( كما ثبت فيما بعد ) ، كانوا أكثر موهبة مني في عالم الطهي .

وفي السادسة مساءً ، بدأ من الرائحة أن الأرز قد نضج ..

والبطة داخله بالطبع ..

وسال لعاب الجميع ، ونحن نحمل الوعاء إلى مائدة الطعام ،

وقد بدأ ساقا البطة واضحين خارج الأرز ..

وفي حماس ، جذب أحد زملاء ساق البطة ..

ولكنه فوجئ بأن ما صعد إليه لم يكن الساق وحدها ..

كان البطة كلها ، مع الأرز كله ، الذي تحول إلى عجينة

متماسكة ، لم تلتصق بقاع الوعاء ..

ولم تعد تصلح للاستخدام الآدمي ..

وكذلك البطة ..

صحيح أن الكل ثار ، وهاج ، وماج ، وانتهال علىّ بالعبارات

الغاضبة الساخطة المستنكرة ..

ولكننا في النهاية أكلنا الأرز ..

والبطة ..

ألم أقل لكم : إن الجوع كافر ..

جداً !؟

★ ★ ★

أسبوع واحد وتنتهي فترة التدريب ، بعد أن احتشدت عقولنا

بعشرات القواعد واللوائح الإدارية ، ودفاتر العهدة ،

واستمارات ١١١ و ١١٢ و ١١٨ ع . ح .

وفوجئنا بأننا سنخوض امتحاناً في الأمور الإدارية ..

امتحان !؟

ألن تنتهى الامتحانات أبداً؟!؟

وسألنا عن أرقام الجلوس ، وأقرب مكتبة لبيع أوراق تصلح

للبرشام ، و ... ، و ...

وأدركنا جميعاً أن فترة التدريب قد شارفت الانتهاء ..

وأن كلاً منا سيفترق عن الآخرين ، وسيذهب إلى وحدة

صحية ، يقوم فيها بعمل الطبيب البشرى ، وطبيب الصحة ،

والطبيب الشرعى ، والصيدلى ، وطبيب المعامل ، ومدير

المخازن ، ومسئول الثقافة الصحية ، و ...

وكل هذا مقابل راتب ضخم يبلغ ستين جنيهاً مصرياً لا غير ..

ولست أدري لماذا يذكرنى هذا بالفنان ( فؤاد المهندس )؟!؟

والعجيب أننى شعرت بالأسف الشديد ؛ لأننى سأفترق عن

تلك المجموعة ، التى قضيت معها شهرين كاملين ، فى عنبر

واحد ..

ربما لا أذكر الأسماء كاملة ، ولكن كان هناك ( محمود

ياسين ) ( ليس الممثل المعروف بالطبع ) ، و ( فارس )

و ( أسامة ) و ( مدحت عبد الفضيل ) ، و ( عثمان ) ..

كل منا سيذهب إلى مكان منفرد ، فى قرية من قرى محافظة

( قنا ) ..

ويبدو أن شعورى هذا كان هو نفسه شعور الجميع ، فقد

ساد الوجوم المكان ، وانخفضت درجة المرح ، وبدا وكأن كلاً

منا يشعر بالحزن ، لأننا أخيراً سنفترق ..

نفس الحزن ، الذى شعرنا به ، عندما أدركنا أننا سنجتمع

فى عنبر واحد فى البداية ..

وما أغرب النفس البشرية !!

ولكن حتى تلك الأيام الأخيرة لم تنته دون موقف ما ..

فقبل امتحان الإداريات بيومين فقط ، كان زميلنا الصعيدى

هو المسئول عن إعداد الطعام ، وكنت أجلس معه وحدى فى

العنبر ، فى حين ذهب الآخرون لقضاء بعض الوقت فى مدينة

( قنا ) ..

كان يستعد لعمل وجبة من المعكرونة ، عندما راودتني فجأة

فكرة العبث معه قليلاً ..

ولقد عجزت عن كتمان تلك الرغبة ، فسألته متظاهراً

بالهدوء واللامبالاة :

هل قمت بغسل المعكرونة قبل طهيها؟!؟

حدق فى وجهى بدهشة ، وسألنى :

- وهل يتم غسل المعكرونة قبل طهيها؟!؟

نظرت إليه باستنكار ، وأنا أؤكد له أن هذا أمر حتمى ؛ لأننا

كنا نبتاع المعكرونة المعبأة فى أجولة ضخمة ، معرضة للتراب

والغبار ..

ومن الواضح أن منطقى قد أقنعه ، فقد قام بكل حماس ،

وغسل المعكرونة ، ثم وضعها فوق صحيفة فى الشرفة لتجف ،

قبل أن يقوم بإعدادها ، وأنا أكتفم ضحكى فى أعماقى ،  
وأظهار بالانهماك فى القراءة ..

وعندما عاد الجميع ، كانت المعكرونة قد تحولت إلى عجينة ..  
وغنى عن القول أننى أنكرت تمامًا فى التحقيقات ، أننى قد  
نصحتة بغسل المعكرونة ..

باختصار ، كانت عملية نظيفة مائة فى المائة ، خرجت منها  
مثل الشعرة من العجينة ..  
عجينة المعكرونة ..

المهم أن الموقف قد مرّ بسلام ، وتحول إلى نكتة جديدة ،  
تضاف إلى نكات الصعايدة ، ورحنا جميعًا نستعد للامتحان ..  
ثم جاء الامتحان ..

الأساتذة الأطباء ، مديرو الإدارات الطبية ، أعطونا الأسئلة  
والأجوبة ، والدرجات ..  
وانتهى الأمر ، قبل أن يبدأ ..

وهكذا ، انتهت فترة التدريب ، وبدأنا نستعد للتوزيع ..  
وهنا عاد النشاط يدب فى الجميع ، وراح كل من الزملاء يسعى  
للحصول على وساطة ، ليتم توزيعه على وحدة صحية مناسبة ..  
وفى ذلك الحين كان لى قريب فى منصب مدير إدارة الطب  
البيطرى ، وكان صديقًا لمدير مديرية الشئون الطبية فى (قنا) ،  
ولقد عرض على قريبى هذا أن يرسلنى إلى أى مكان أشاء ..

ولكننى كنت ، وما زلت أومن بالقدرية ، فى مثل هذه الأمور ..  
لست أحب أبدًا أن أختار المصير ، فى الأمور التى أجهلها ..  
إننى أترك الأمر كله لله ( سبحانه وتعالى ) ، حتى يمكننى  
قبول أية نتائج فيما بعد ، دون أن أشعر بالندم ..  
وهكذا تم عمل القرعة التقليدية ؛ لتوزيعنا على القرى  
والمراكز المختلفة ..

وعندما سحبت الورقة الخاصة بى ، وجدت بها اسم قرية ،  
لم أسمع بها من قبل قط ..  
( أبو دياب شرق ) ..

وعندما سألت عن موقع القرية ، التى سأذهب إليها ، تطلع  
إلى الجميع بإشفاق واضح ، ثم ربت أحدهم على كتفى ، وهو  
يبلغنى أنها تبعد سبعة وأربعين كيلومترًا عن مدينة ( قنا ) ،  
وأنها تتبع مركز ( دشنا ) ..

الأمر الوحيد ، الذى لم يبلغنى به ، هو أنه ، من بين  
الكيلومترات السبعة والأربعين ، كان هناك أربعة وعشرون كيلو  
مترًا فقط على الطريق الأسفلتى ..

أما الثلاثة والعشرون كيلو مترًا الأخرى ، فكانت فى قلب  
الجبل ..

أو كما يقول الصعايدة ..

فى حضن الجبل ..

وكان هذا يعني أن كل ما رأيته ، منذ وصولي إلى ( قنا ) ،  
 كان الصعيد البرّاني فحسب ..  
 وأنه منذ هذه اللحظة ، سأبدأ رحلتي في حضن الجبل ..  
 في الصعيد الجوّاني ..  
 جدًّا .

★ ★ ★

( وللحديث بقية )

روايات مصرية للحبيب

كوكب  
٢٠٠٠

قصة العدد



قلعة الأسرار

المؤسسة العربية الحديثة  
 الطباعة والنشر  
 ٢٠١٥٥٥ - ٢٠١٥٥٥ - ٢٠١٥٥٥  
 القاهرة ٢٠١٥٥٥

- نعم .. ولكنني قرأت الكثير عنها .  
ضحك ( ميشيل ) وهو يقول :  
- اليوم إذن سيمكنك مشاهدة ما قرأت عنه .  
قال ( باسل ) مبتسماً :  
- هذا لو وجدنا الوقت لذلك .  
دعاه ( ميشيل ) لركوب السيارة ، وهو يقول :  
- لدينا الوقت كله يا صديقي ، فالسيد ( أندريه ) رئيس التحرير لن يمكنه مقابلتك قبل مساء الغد ، فقد انشغل بلقاء مهم مع وفد أمريكي اقتصادي ، وصل إلى هنا صباح اليوم ، وهذا يعني أن أمامنا أكثر من ثلاثين ساعة ، يمكننا القيام خلالها بجولة سياحية في ( رومانيا ) .. أين تحب أن تذهب ؟  
صمت ( باسل ) لحظات مفكراً ثم قال :  
- ما رأيك في زيارة إلى ( ترانسلفانيا ) ؟  
تطلع إليه ( ميشيل ) في دهشة ، وهو يهتف :  
- ( ترانسلفانيا )؟! ولماذا ( ترانسلفانيا ) بالذات؟!  
ابتسم ( باسل ) وقال :  
- الحقيقة أنني أرغب في رؤية قصر ( دراكيولا ) .  
رفع ( ميشيل ) حاجبيه في دهشة ، ثم لم يلبث أن خفضهما ، وهو يتسّم في خبث ، قائلاً :  
- آه .. أنت تهوى قراءة قصص مصاصي الدماء .. أليس كذلك ؟

## ١ - دعوة ..

- ارتسمت ابتسامة واسعة على شفתי الصحفي الروماني ( ميشيل ) ، وهو يستقبل ( باسل ) في مطار ( بوخارست ) عاصمة ( رومانيا ) ، وبدت نبرة الترحاب واضحة في صوته ، وهو يصافحه في حرارة ، قائلاً :  
- مرحباً بك في ( رومانيا ) يا ( باسل ) .. نحن نشكر لك تلبيتك لدعوة صحيفتنا .  
أجابه ( باسل ) بابتسامة وودّ :  
- بل أنا الذي يشكركم يا رجل ، على اهتمامكم بالمقال الذي أرسلته .  
هتف ( ميشيل ) :  
- إنه مقال رائع يا ( باسل ) .. كيف أمكنك معرفة كل هذا ؟  
هزّ ( باسل ) كتفيه ، وقال :  
- إنني أقرأ كثيراً .  
ربّت ( ميشيل ) على كتفه في حرارة ، وقاده إلى سيارة الجريدة التي تنتظر بسائقها أمام المطار مباشرة ، وهو يقول :  
- أهي أول زيارة لك لرومانيا يا ( باسل ) .  
أوماً ( باسل ) برأسه إيجاباً وقال :

هز ( باسل ) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- كلاً .. لقد قرأت رواية واحدة في هذا المجال ، وهى تلك التى كتبها الروائى البريطانى ( برام ستوكر ) عام ١٨٩٧م ، والتى حملت اسم ( دراكيولا ) وشاهدت فيلمًا أو فيلمين للمثل الإنجليزى ( كريستوفرلى ) حول الفكرة نفسها ، ولكن ما يجذبنى فى الواقع هو الكونت ( دراكيولا ) الحقيقى ، الذى أقام هنا ، والذى أوحى للروائى ( برام ستوكر ) بفكرة روايته الشهيرة .

أوما ( ميشيل ) برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

- لقد أساءوا كثيرًا للكونت ( دراكيولا ) ووصفوه بأنه وحشى سادى ، متعطش للدماء ، على الرغم من أنه لم يقاتل سوى أعداء البلاد وحدهم .

غمغم ( باسل ) :

- ولكنه كان شديد القسوة بالفعل .

هتف ( ميشيل ) :

- مع الأعداء وحدهم .

أجابته ( باسل ) فى هدوء :

- لا شىء يبرر القسوة يا صديقى ، حتى مع الأعداء ، فإذا

قتلت فأحسن القتلة .

لوح ( ميشيل ) بذراعه ، قائلاً :

- هذا رأيك .

ثم عقد حاجبيه مفكرًا لحظات ، قبل أن يقول :

- ولكن .. هل ترغب فى رؤية قصر ( دراكيولا ) .. الذى

يزوره كل سائح يفد إلى ( رومانيا ) أم قلعته السرية ؟!

التفت إليه ( باسل ) فى دهشة ، وهو يقول :

- قلعته السرية ؟! لم أقرأ قط عن شىء كهذا !

ابتسم ( ميشيل ) فى خبث ، وقال :

- لو أنك قرأت عنها ، لما أصبحت سرية ؟

بدا توتر شديد فى وجه سائق السيارة وصوته ، وهو يقول

عبارة ما بالرومانية ، فابتسم ( ميشيل ) وربت على كتفه ،

وهو يرد على عبارته بأخرى ، ثم التفت إلى ( باسل ) ، قائلاً

بصوت يحمل نبرة ساخرة ، وباللغة الإنجليزية ، التى يتبادلان

الحديث بها منذ البداية :

- معذرة لحديثنا بالرومانية ، ولكن السائق كان منفعلاً بعض

الشىء .

سأله ( باسل ) :

- أهنك ما يورقه ؟

ضحك ( ميشيل ) وقال :

- نعم .. إنه أحد أبناء ( ترانسلفانيا ) وكلهم يصابون

بالذعر ، عندما يتحدث أى مخلوق عن قلعة ( دراكيولا )

السرية .

سأله ( باسل ) فى دهشة :

- ولماذا يصيبهم الذعر لهذا ؟

فوجئ بالسائق يقول بالإنجليزية فى عصبية :

- أرجوك يا سيدى .. لا داعى لمناقشة هذا الأمر .

أطلق ( ميشيل ) ضحكة عالية ، وقال :

- اطمئن يا ( ميخا ) .. لن يغرس ( دراكيولا ) أنيابه فى

عنقك هذا المساء .

بدا الغضب والتوتر على وجه السائق ، فتدخل ( باسل ) ،

قائلاً :

- مهلاً .. ما الذى يعنيه هذا ؟

أشار ( ميشيل ) إلى السائق ، وهو يقول :

- نسيت أن أخبرك أن ( ميخا ) من الفئة الترانسلفاتية ،

التي تؤمن بأن ( دراكيولا ) مصاص دماء حقيقى ، وأنه لا يزال

على قيد الحياة حتى الآن .

قال ( ميخا ) فى حدة :

- هذا حقيقى يا سيد ( ميشيل ) .. إنك تسخر منا لأنك لم تر

عربته ، وهى تعبر الطريق الضيق فى الجبال ، فى طريقها إلى

قلعته ، فى الليالى المقمرة ، تجرّها جياده الرهيبة ، ويقودها

سائقه المخيف .

لوح ( ميشيل ) بكفه ، وقال :

- مجرد وهم .. إنها على الأرجح واحدة من سيارات فرقة

مكافحة المخدرات ، التى تبحث عن المهربين فى الجبال .

قال ( ميخا ) :

- محركات سيارات مكافحة المخدرات لا تطلق صهلاً يا سيد

( ميشيل ) ، ولا تمتص دماء الضحايا .

سأله ( باسل ) :

- ما معنى الحديث عن مص الدماء هذا ؟

أجابه ( ميخا ) وهو يرتجف :

- لقد رأيت هذا بنفسى ، عندما جرؤ مفتش الشرطة فى

بلدتنا على الذهاب إلى الجبال وحده ، فى ليلة مقمرة ، وبعدها

عثروا عليه صريعاً ، وقد امتص ( دراكيولا ) دماؤه كلها ، لقد

نشرت الصحف هذا الحدث .

التفت ( باسل ) إلى ( ميشيل ) يسأله :

- أهذا صحيح ؟

هز ( ميشيل ) كتفيه وقال :

- لست أذكر هذا بالتحديد .

ثم أطلق ضحكة قصيرة ، وهو يسأل ( باسل ) :

- أما زلت تفكر فى زيارة قصر ( دراكيولا ) ؟

صمت ( باسل ) لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- بل أفكر فى زيارة قلعته السرية .

جاء رد فعل ( ميخا ) أعنف مما تصوّر ( باسل ) .. فقد



ضغط فرامل السيارة فجأة ، حتى إن جسدى ( باسل )  
و ( ميشيل ) اندفعا إلى الأمام ، وارتطما بالمقعدين الأماميين ،  
فهتف الأخير محنقا :

- ماذا أصابك يا رجل .. هل جننت ؟

قال ( ميخا ) فى حدة :

- سيدى .. ما تفكر فيه ضرب من الجنون .

صاح به ( ميشيل ) :

- بل قل : إنك جبان رعديد .

هتف ( ميخا ) فى غضب :

- لست جباناً ، ولكن الأمر أخطر مما تتصوران .

أجابته ( ميشيل ) فى حدة :

- فليكن يا ( ميخا ) .. سنذهب إلى قلعة ( دراكيولا )

السرية ، بك أو بدونك .

انعقد حاجبا ( ميخا ) طويلاً ، ثم قال فى عصبية :

- فليكن .. سأصحبكما إلى هناك ، ولكننى سأبلغ زوجتى

أولاً .. بأننى سأتأخر طويلاً .. ولا تنسيا أننى حذرتكما .

أوقف السيارة أمام هاتف عام ، وذهب للاتصال بزوجه ،

فقال ( باسل ) :

- عجباً !! ألم يدهشك أن أبدل موقفه بهذه السرعة ؟

ضحك ( ميشيل ) ، قائلاً :

- كلاً .. لقد تعمدت استفزازه ليفعل .

قبل أن يلقى عليه ( باسل ) سؤالاً آخر ، عاد ( ميخا ) إلى  
السيارة وبدأ حازماً ، وهو يقول :

- والآن أيها السيدان ، سننطلق إلى قلعة ( دراكيولا )

السرية .

وبدأت رحلة الرعب ..

★ ★ ★

استغرقت الرحلة من ( بوخارست ) إلى جبال ( ترانسلفانيا )

وقتاً طويلاً بالفعل ، قطعته السيارة دون توقّف ، وانهمك

( باسل ) خلاله فى أحاديث شتى مع ( ميشيل ) ، وفى مراقبة

الطبيعة على جانبى الطريق ، فى حين لزم السائق ( ميخا )

الصمت طوال الوقت ، مكتفياً بإلقاء نظرة سريعة ، كل حين

وآخر ، إلى ( باسل ) و ( ميشيل ) عبر مرآة السيارة الداخلية ،

حتى لاحظت بلدة صغيرة من بعيد ، تتألق تحت أشعة الشمس ،

التي اتجهت فى رحلتها نحو المغيّب ، فغمغم ( ميخا ) :

- سنحصل على قسط من الراحة هنا ، ونترؤد بالوقود قبل

أن نواصل رحلتنا .

هتف ( ميشيل ) ضاحكاً :

- يا إلهى ! هل يمكنك الحديث؟! لقد تصوّرتك أبكم ، من

طول صمتك .

عقد ( ميخا ) حاجبيه في غضب ، في حين أسرع ( باسل ) يقول مهدناً الموقف :

- كم تبقى لنا على وصولنا إلى القلعة يا ( ميخا ) ؟  
أجابه ( ميخا ) في اقتصاب :

- القليل .

لم يفهم ( باسل ) ما يعنيه بهذا القول المقتضب ، ولكن ( ميشيل ) قال في لهجة شبه ساخرة ، تحمل نبرة تهكمية واضحة :

- لقد وصلنا تقريباً .

ثم أشار إلى الجبال المتاخمة للبلدة ، مستطرداً :  
- القلعة هناك .

رفع ( باسل ) عينيه ، يتطلع إلى الجبال في اهتمام ، ولكنه لم ير شيئاً ، فربّت ( ميشيل ) على كتفه ، وهو يقول :

- عندما نصل إلى البلدة ستراها جيداً .

ولكنه لم يكن محقاً بهذا القول ، فقد بلغوا البلدة بالفعل ، والشمس توشك على المغيب ، ولكن ( باسل ) لم ير القلعة جيداً ، على الرغم من تطلعه طويلاً إلى الجبال ، فابتسم ( ميشيل ) وقال وهو يدير جذعه في مرونة ، ليتخلص من أثر الجلوس الطويل :

- ليس هكذا يا صديقي .

سأله ( باسل ) :

- ما الذي تعنيه ؟

أجابه ( ميشيل ) ، وهو يلتقط حقيبته من السيارة :

- لن يمكنك رؤيتها بعينيك المجردتين .. ولهذا سأعيرك منظاري المقرّب .

رمقهما ( ميخا ) بنظرة جانبية ، ثم أشاح بوجهه ، وتشاغل بتزويد السيارة بالوقود ، ومراجعة الزيوت والشحوم ، في محطة وقود قريبة ، في حين ناول ( ميشيل ) منظاره المقرّب إلى ( باسل ) وهو يشير إلى نقطة ما أعلى أحد الجبال ، قائلاً :

- انظر .. ستجدها هناك .

وضع ( باسل ) عدسة المنظار على عينيه ، وراح يفحص قمة الجبل في اهتمام ، و ...  
وفجأة ، رآها أمامه تماماً ..

لم تكن قلعة بالمعنى المفهوم ، ولكن مجرد أطلال قديمة ، يرتفع من طرفها برج كبير ، تهدمت قمته ، وامتد سورها لعدة أمتار ، قبل أن تبدو نهايته المنهارة .

وكان هناك خندق يحيط بالقلعة ، وجسر خشبي يمتد من بوابتها الكبيرة ، ليعبر هذا الخندق ، في حين تحيط بالمكان بعض الأعشاب والأشجار .

وسأل ( ميشيل ) ( باسل ) :

- هل تراها جيداً ؟!

لم يتم عبارته ، وخفض المنظار عن عينيه ، متممًا في  
توتر :

- عجبًا .. أنا واثق من أنني رأيت هذا !

سأله ( ميشيل ) في لهفة :

- ما الذى رأيته بالضبط ؟

أجابه ( باسل ) فى سرعة :

- رأيت ضوء مصباح يتحرك ، عبر إحدى نوافذ القلعة ،  
ومر ظلّ أمام الضوء لحظة ، ثم اختفى .

حدق ( ميشيل ) فى وجهه بدهشة ، قبل أن يقول فى ارتباك :

- ولكن هذا مستحيل يا صديقى .. لا أحد يقيم فى هذه

الأطلال القديمة .. إنها متهالكة خالية ، حتى إن هيئة المساحة  
لم تهتم بإعدادها وتركتها هكذا .

قال ( باسل ) فى إصرار :

- ولكننى لم أكن واهمًا .. لقد رأيت هذا فى وضوح .

هتف ( ميشيل ) :

- مستحيل ! من ذا الذى يمكنه العيش هناك ؟

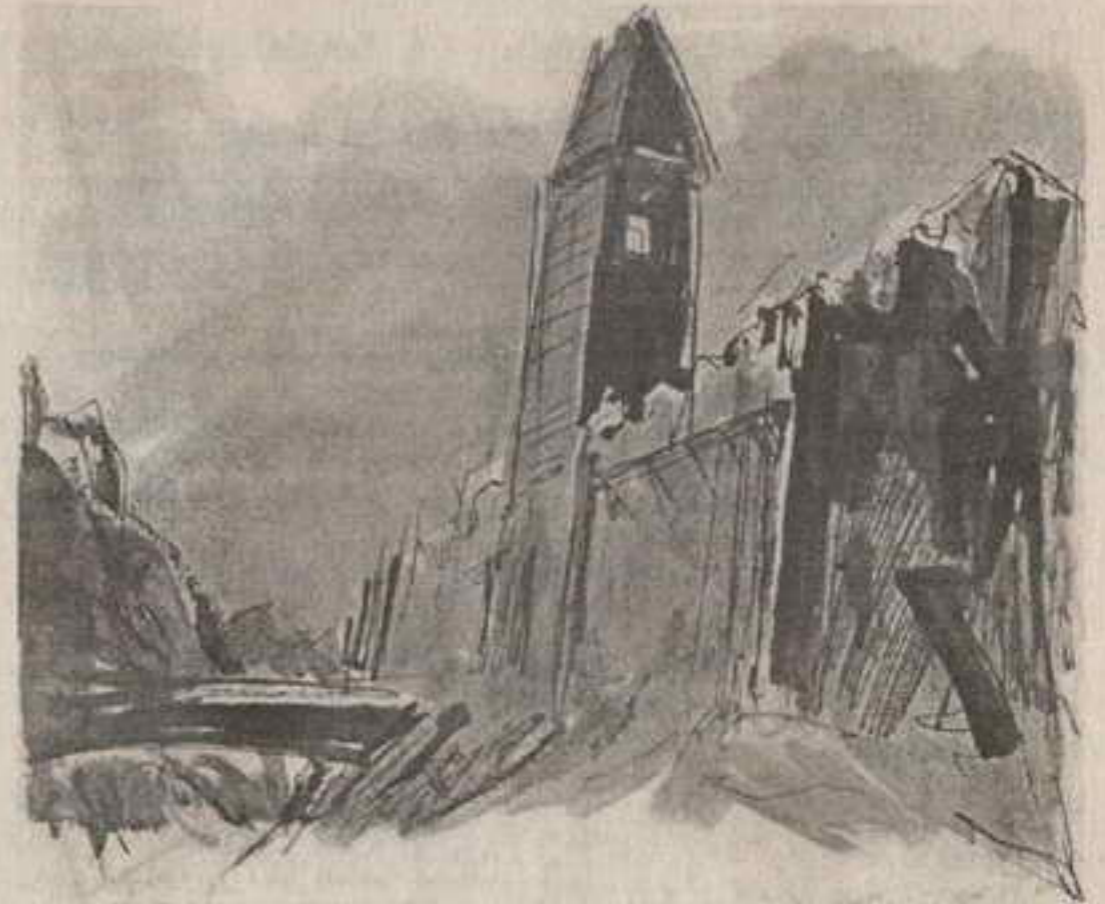
أتاهما صوت متوتر يقول :

- الكونت ( دراكيولا ) .

التفت الاثنان إلى مصدر الصوت ، ورأيا أمامهما شيخًا

طاعنًا متغضن الوجه ، يبدو كما لو أن عمره يربو على قرن

كامل ، وهو يستطرد :



أوما ( باسل ) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. إنها أطلال قديمة ، و .....

بتر عبارته بغتة ، والتقى حاجباه فى شدة حتى إن ( ميشيل )

سأله فى قلق :

- ماذا هناك ؟

أجابه ( باسل ) فى انفعال واضح :

- هناك .. لقد رأيت ..

- إنه لم يمت بعد .. لقد استغرق في نوم طويل فحسب ،  
طوال قرن من الزمان ، ثم استيقظ ليتزود بدماء الضحايا .  
كان ( ميشيل ) يهيم بالقاء عبارة ما ، عندما اندفع ( باسل ) ،  
قائلاً :

- ومتى أستيقظ ؟

أجابه الشيخ مرتجفاً :

- منذ خمسة أعوام وثلاثة أشهر .

هتف ( ميشيل ) :

- أي هراء هذا؟! هل ستصدق ذلك الرجل يا ( باسل ) ؟  
إنك لم تر ما تصورت أنك قد رأيت .. إنه مجرد انعكاس لأشعة  
الشمس الغاربة ، على إحدى نوافذ القلعة .

بدا ( باسل ) هادئاً أكثر مما ينبغي وهو يقول :

- ربما .. ولكنه في هذه الحالة يكون أعجب انعكاس رأيت ،  
في حياتي كلها .

لوح الشيخ بسبابته في وجه ( باسل ) وهو يقول :

- ليس انعكاساً يا فتى .. لو أنك رأيت شيئاً يتحرك هناك ،

فهو الكونت ( دراكيولا ) نفسه .. صدقتي يا فتى .. إنه هو .

ربت ( باسل ) على كتف الشيخ في هدوء وهو يقول :

- سنتأكد بأنفسنا يا عمّاه .

سأله الشيخ مذعوراً :

- ماذا تعنى يا فتى ؟ كيف ستتأكدون من هذا ؟

أشار ( باسل ) إلى حيث أطلال القلعة ، وهو يقول :

- سنذهب إلى هناك .

انتفض جسد الشيخ كله في عنف ، واتسعت عيناه في ذعر

لا مثيل له ، وهو يحدق في وجه ( باسل ) مغمغماً في ارتياح :

- تذهبون إلى هناك؟! هل أصابكم مس من الجنون ؟

أجابه ( ميشيل ) في عصبية :

- ربما أيها الشيخ ، ولكننا لا نصدق حرفاً واحداً من هذا

كله ، وسنذهب الليلة إلى تلك الأطلال القديمة ، ونعود في

الصباح ، لنسخر منك ومن كل من يصدق هذه الخرافات .

التفت إليه ( باسل ) وهو يقول في صرامة :

- ليس من اللائق أن تتحدث إلى شيخ بهذا الأسلوب .

صاح ( ميشيل ) :

- ألم تسمع ما قاله ؟

أجابه ( باسل ) في حزم :

- مهما فعل .. احترام كبار السن واجب ، لا أنتازل عنه قط .

صرخ ( ميشيل ) في وجهه بعصبية بالغة :

- من تظن نفسك أيها العربي؟! هل أتيت إلى هنا ، لتلقى

على مسامعي محاضرات سخيفة حول الأخلاقيات والمثل ؟

ظهر ( ميخا ) بينهما فى هذه اللحظة وهو يقول :  
 - رويدكما ! هل بدأ الخوف يسرى فى عروقتكما الآن ؟  
 كانت عبارته كافية لامتصاص غضب ( ميشيل ) ، الذى  
 حلق فى وجه ( باسل ) لحظة ، ثم انفجر ضاحكاً ، وقال :  
 - كلا .. ليس بعد .. إنه بعض التوتر فحسب .. ولكن  
 أخبرنى ، هل انتهيت من التزود بالوقود وإعداد ما يلزم ؟

أجابه ( ميخا ) :

- نعم .. كل شىء على ما يُرام .. هل نبدأ رحلتنا الآن ؟  
 لم تمض دقائق على هذا الحديث حتى كانت السيارة تغادر  
 بهم البلدة ، والشيخ يراقبهما فى هلع وذعر ، فى حين عاود  
 ( ميشيل ) توتره ، وهو يقول :

- لقد أسدل الليل أستاره .. يا له من وقت ، لبدء رحلة

كهذه !

قال ( ميخا ) فى خفوت :

- كل الأوقات تتساوى فى مواجهة مصاصى الدماء .

لم يعلق ( باسل ) على عبارتيهما ، بل اكتفى بمراقبة ذلك  
 الطريق الضيق ، شبه الممهّد ، الذى يعبر الجبل ، ويمر وسط  
 دغل كثيف ، صاعداً إلى قمة الجبل ، فى شكل حلزوني شبه  
 منتظم ، و ...

وفجأة سرت فى أجساد الثلاثة قشعريرة باردة كالثلج ،  
 واحتبست أنفاسهم دفعة واحدة ، مع ذلك الصوت ، الذى انطلق  
 بغتة وسط الدغل ..

صوت الصهيل ..

صهيل عربية مصاص الدماء ..

★ ★ ★

وآخر ، ولقد شعر ( ميشيل ) نفسه بسخافة الفكرة ، فقال فى حدة :

- أو هو جواد جفل من صاحبه ، وضلّ طريقه وسط الدغل .  
التفت ( ميخا ) ينظر إليه مستنكراً ، فى حين اكتفى ( باسل ) بالتطلع عبر النافذة المجاورة له ، فى محاولة لاختراق الظلام ، ثم اعتدل ( ميخا ) وقال :

- هل نعود ؟

صاح به ( ميشيل ) :

- بل سنواصل طريقنا بالطبع .

تطلع ( ميخا ) إلى ( باسل ) فى مرآة السيارة الداخلية ، وقال :

- ما رأيك أنت يا سيد ( باسل ) ؟

أجابه ( باسل ) فى هدوء :

- لم يحدث ما يمكن أن يعوق رحلتنا يا ( ميخا ) سنواصل السير حتى نبلغ القلعة .

هزّ ( ميخا ) كتفيه ، وكأما الأمر لا يعنيه ، وعاد ينطلق بالسيارة ، ويشق الظلمات بضوء مصباحيها ..

وفجأة ، سطع ضوء قوى فى مواجهة السيارة ، وهتف ( ميخا ) وهو يخفى عينيه بذراعه :

- ما هذا بالضبط ؟

## ٢ - الرعب ..

لم يكد ذلك الصهيل ينطلق ، من أعماق الدغل ، حتى ضغط ( ميخا ) فرامل السيارة فى قوة ، واندفع جسداً ( باسل ) و ( ميشيل ) مرة أخرى إلى الأمام فى عنف ..  
ولكن أحداً منهما لم يعترض .

لقد ران على الجميع صمت رهيب ، داخل السيارة المغلقة ، ووسط الظلام المحيط بها من كل جانب ، قبل أن يقول ( ميخا ) فى توتر :

- هل سمعتما هذا ؟

أجابه ( باسل ) فى صوت خافت :

- إنه صهيل جياذ .

أما ( ميشيل ) فهتف فى عصبية :

- هراء .. إنه مجرد صفير رياح تعبر ما بين الأغصان المتشابكة .

ردد ( ميخا ) فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

- صفير رياح !؟

كان محقاً فى دهشته واستنكاره ، إذ كان الجو خارج

السيارة ساكناً هادئاً ، إلا من نسيمات رقيقة ، تهب بين حين

اعتدل ( باسل ) يتطلع إلى الأمام في اهتمام ، في حين خفق قلب ( ميشيل ) في عنف ، وهو يقول متوتراً :

- ماذا حدث ؟ ما الذي يعترض طريقنا ؟

أوقف ( ميخا ) السيارة ، وخفت الضوء الساطع أمامها قليلاً ، ثم بدا ظل بشري يتحرك أمامه ، فهتف ( ميشيل ) مرة أخرى ، وصوته يحمل رنة عصبية واضحة :

- ما هذا بالضبط ؟

لم يكذ ينتهي من قوله ، حتى بدا جسد بشري واضح ، في مساحة الضوء لرجل يرتدى ثياب الشرطة الرومانية ، اتجه مباشرة إلى ( ميخا ) وانحنى يتطلع عبر النافذة المجاورة له ، إلى ( باسل ) و ( ميشيل ) وهو يقول :

- أوراقتكم لو سمحتم .

ناوله ( ميشيل ) الأوراق ، وهو يقول في شيء من الانفعال :

- إننا صحفيون .

فحص رجل الشرطة الأوراق في سرعة ثم أعادها إليهم ورفع قبعته ، قائلاً :

- معذرة ، إنه تفتيش روتيني .. أنا الضابط ( لوركا ) من شرطة مكافحة المخدرات .. ولكن ماذا تفعلون هنا ، في مثل هذا الوقت ؟

أجابته ( ميشيل ) في توتر :



حتى بدا جسد بشري واضح في مساحة الضوء لرجل يرتدى ثياب الشرطة الرومانية ..

- نحن فى طريقنا إلى القلعة .  
 رفع الضابط ( لوركا ) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :  
 - قلعة من ؟! لعلك لا تقصد أطلال قلعة ( دراكيولا ) .  
 قال ( باسل ) بسرعة :  
 - هو كذلك .. نحن نقصد القلعة السرية .  
 مطّ الضابط شفتيه ، وهزّ رأسه ، قائلاً :  
 - لو أنتى فى موضعكم لما فعلت هذا قط .  
 قال ( ميشيل ) فى عصبية :  
 - هذا لأنك لست رجل صحافة .  
 وأضاف ( باسل ) فى صوت رصين :  
 - ثم إن القمر لم يكتمل بعد .  
 بدت الدهشة لحظة على وجه الضابط ( لوركا ) ورفع رأسه  
 يتطلع إلى السماء قبل أن يتمم فى خفوت ، خيّل إلى ( باسل )  
 أنه يحمل نبرة غاضبة :  
 - نعم .. هذا صحيح .  
 ثم أفسح الطريق أمام السيارة ، وهو يقول :  
 - حسن .. واصلوا طريقكم ما دتمم بهذه الحماسة .  
 انطلق ( ميخا ) بالسيارة فى صمت وقطع ما يقرب من كيلو  
 مترين ، قبل أن يسأله ( باسل ) :  
 - تقولون إن مصاص الدماء المزعوم هذا لا يظهر إلا فى

- الليالى المقمرة التى تكتمل فيها استدارة القمر .. أليس كذلك ؟  
 صمت ( ميخا ) قليلاً ، ثم قال :  
 - ليس بالضرورة .  
 لم يناقشه ( باسل ) هذه المرة ، ولاذ بالصمت التام ،  
 والسيارة تواصل طريقها حتى لاحت أطلال القلعة من بعيد وقال  
 ( ميخا ) :  
 - لقد وصلنا .  
 لم يكذب ينطقها ، حتى انطلق ذلك الصهيل مرة أخرى ، فهتف  
 ( ميشيل ) :  
 - أوقف السيارة ما ( ميخا ) .  
 ضغط ( ميخا ) الفرامل بحركة سريعة ، وتوقفت السيارة  
 على بعد مائة متر من أطلال القلعة ، ولكن ( ميخا ) أبقى  
 مصابيحها مضاءة هذه المرة وهو يتمم :  
 - إنه ليس صغير رياح هذه المرة يا سيد ( ميشيل ) ، أليس ...  
 قاطعه ( باسل ) فى صرامة :  
 - اصمت .  
 عقّد ( ميخا ) حاجبيه ، وهو يقول :  
 - ماذا أصابك يا سيد ( باسل ) ؟ ألا يروق لك حديثى هذه  
 الـ ...  
 قاطعه ( باسل ) فى صرامة أكثر هذه المرة :  
 - قلت لك اصمت .



لاذ ( ميخا ) بالصمت تمامًا ، فى حين همس ( ميشيل ) فى  
توتر ، عندما لاحظ حاجبى ( باسل ) المتعاطفين ، ومحاولته  
لإرهاق سمعه :

- ماذا هناك بالضبط ؟

أجابه ( باسل ) فى اقتضاب شديد :

- أنصت .

أرهف ( ميشيل ) السمع بدوره ، ثم هتف :

- إنه وقع حوافر جياذ تقترب .

لم يكذب يتم عبارته حتى تعالى الصهيل مرة أخرى ، واقتراب  
وقع حوافر الجياذ ، حتى صار مسموعًا فى وضوح ثم فجأة  
ظهرت العربة .

عربة سوداء كالليل ، تجرها أربعة جياذ تكاد تذوب مع  
الظلام ، ويقودها رجل يرفل فى ثوب أسود ، يخفى جسده كله ،



من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، ويحمل سوطًا رقيقًا  
طويلاً ، يفرقه فى الهواء ، فوق رعوس الجياذ الأربعة ،  
فتنطلق بكل سرعتها وقوتها وتنهب الأرض نهبًا .

كانت أشبه بعربات النبلاء فى العصور الوسطى ، ولكن  
السواد الذى اصطبغت به منحها مظهرًا رهيبًا مخيفًا ، وهى  
تعبير أمام سيارة الجريدة ، وتنطلق فى ضوء مصباحيها فوق  
الطريق شبه الممهّد ، متجهة إلى القلعة .

ثم أطفأ ( ميخا ) مصباحى السيارة واختفت العربة وسط  
الظلمة ، فهتف ( باسل ) فى دهشة :

- لماذا فعلت هذا ؟

أجابه ( ميخا ) فى عصبية :

- لم .. لم أحتمل رؤية تلك العربة .

صاح به ( باسل ) :

- اشعل المصباحين مرة أخرى يا رجل .. أريد أن أرى أين  
ستذهب تلك العربة .

عاد ( ميخا ) يضىء المصباحين ، ولكن الطريق حتى القلعة  
بدا صامتًا ساكنًا فتمتم ( ميشيل ) فى توتر :

- لقد اختفت .

ران على السيارة صمت ثقيل ، بعد أن انتهى من عبارته ،  
ثم قطع ( باسل ) هذا الصمت وهو يقول :

- هيا .. سنواصل طريقنا .

التفت إليه ( ميخا ) فى دهشة ، وهو يقول :

- أنت واثق من هذا ؟

أوماً ( باسل ) برأسه إيجاباً ، فتنهد ( ميخا ) وانطلق مرة أخرى بالسيارة ، وقطع الأمتار المائة ، التى تفصله عن القلعة فى لحظات ، ثم توقف أمام ذلك الجسر الصغير الذى يعبر الخندق العميق المحيط بالقلعة إلى بوابتها ، وقال :

- لا يمكننى عبور هذا الجسر القديم بالسيارة ، إنه أضيق وأضعف من أن يحتملها .

قال ( ميشيل ) :

- لا بأس .. سندخل القلعة سيراً على الأقدام .

هبطوا من السيارة ، وعبروا ذلك الجسر إلى بوابة القلعة ، ولم تكذ أجسادهم تستقر داخل المكان ، حتى صدرت فرقة عجيبة ، ثم ارتفع الجسر بفتة ، وأغلق بوابة القلعة فى دوى عنيف ، فصرخ ( ميخا ) :

- رباه !! لقد أصبحنا سجناء هنا .

ولم ينبس ( باسل ) أو ( ميشيل ) ببنت شفة ..

لقد أصبحوا بالفعل سجناء فى تلك القلعة :

- قلعة الرعب ..

★ ★ ★

انتفض جسد ( ميشيل ) فى عنف ، عندما ارتفع الجسر

فجأة ، وسجنهم داخل القلعة ، وصرخ ( ميخا ) فى زعر :

- إنه هو .. إنه الكونت ( دراكيولا ) .. لقد أصبحنا أسرى

فى قلعة .. إنه سيمتص دماغنا حتى آخر قطرة .

هتف به ( باسل ) فى صرامة :

- رويدك يا رجل .. ربما ارتفع الجسر بسبب خلل فى

أجهزة رفعه ، عندما عبرنا فوقه .

قال ( ميخا ) فى صوت أقرب إلى البكاء :

- وأين هذه الأجهزة .. لست أرى شيئاً ، وسط هذا الظلام

الدامس .

أخرج ( ميشيل ) مصباحه اليدوى ، وأضاءه ، وهو يقول :

- لن يستمر هذا الظلام إلى الأبد .

وعلى ضوء المصباح ، بدا لهم المكان لأول مرة ..

كانوا داخل ممر ضيق ، يربط ما بين بوابة القلعة وساحتها ،

ولا يحوى سوى مشعل قديم ، معلق على الجدار ، انتزعه

( باسل ) وهو يسأل ( ميشيل ) :

- أديك قذاحة لإشعاله ؟

أجابه ( ميخا ) بسرعة :

- لدى قذاحتى .

مضت دقيقة كاملة ، قبل أن تشتعل النيران فى قمة المشعل ،

وأضفى تراقص النيران رهبة أكثر على الممر ، حاول ( باسل )  
تبيدها ، وهو يقول :

- ادخر طاقة مصباحك الآن يا ( ميشيل ) ، ودعنا نبحث عن  
مخرج آخر ، من هذا المكان .

قال ( ميخا ) :

- لا يوجد أى مخرج آخر .. هذه القلعة محاطة بذلك الخندق  
العميق الذى رأيتماه ، والوسيلة الوحيدة لدخولها والخروج  
منها ، هى ذلك الجسر .

تطلع إليه ( باسل ) لحظة فى صمت ، ثم قال :

- يمكننا أن ندفع الجسر ، و ...

قاطعته ( ميخا ) بسرعة :

- مستحيل ! إن وزنه يربو على الطن ، ولا يمكن تحريكه  
إلا بجهاز خاص .

هتف ( ميشيل ) فى عصبية :

- فيم انتظارنا إذن؟! فلنبحث عن ذلك الجهاز السخيف .

تحرك الثلاثة إلى ساحة القلعة ، وراحت نيران المشعل  
تصنع ظللاً مخيفة ، تنعكس على الجدران ، وأشار ( ميخا )

إلى مبنى نصف متهدم ، وهو يقول :

- أعتقد أننا سنجد جهاز التحكم فى الجسر هنا .

تطلع ( باسل ) إلى المبنى ، وقال :

- كلا .. لا أعتقد هذا .. إنه أبعد مما ينبغي ، بالنسبة لآلة  
بدائية ، ترفع وتخفض الجسر .. الأرجح أن يكون ذلك الجهاز  
هناك ، فى هذا البرج .

اضطرب ( ميخا ) على نحو ملحوظ ، عندما أشار ( باسل )  
إلى البرج الوحيد ، الذى لم ينهر بعد ، من أبراج القلعة ، فسأله  
( ميشيل ) فى صراحة :

- ماذا أصابك هذه المرة ؟

أجابته ( ميخا ) فى توتر :

- لن أذهب إلى هذا البرج بالذات ، ولو دفعتما لى أموال  
الدنيا كلها .

التفت إليه ( باسل ) فى اهتمام ، فى حين سأله ( ميشيل ) :

- ولماذا هذا البرج بالذات ؟

أشار ( ميخا ) إلى البرج ، وهو يقول :

- إنه يقيم هناك .

صاح به ( ميشيل ) بصير نافذ :

- من تعنى أيها المأفون ؟

أجابته ( ميخا ) فى حدة :

- صاحب القلعة .. الكونت .. الكونت ( دراكيولا ) .

استدار ( ميشيل ) و ( باسل ) فى آن واحد ، يتطلعان إلى

ذلك البرج ، الذى يرتفع فى أقصى يمين السور الأمامى للقلعة ،

والذى بدأ بالفعل أكثر قوة ومثانة ، وكأما أعيد تجديده منذ زمن قريب ، وقال ( باسل ) :

- إنه مجرد لغو .. وحتى لو كان الأمر كما تقول ، فما يزال هذا البرج هو المكان الأمثل ، لوجود جهاز التحكم فى الجسر ، وأنت نفسك قلت : إن الأمل الوحيد فى خروجنا من هنا ، هو خفض الجسر .

تمتم ( ميخا ) :

- هذا صحيح .. ولكن ..

قاطعته ( ميشيل ) فى حزم :

- لن نناقش هذه السخافات .. سنتجه مباشرة إلى هذا البرج .

تردد ( ميخا ) لحظة ، ثم هز كتفيه ، قائلاً :

- فليكن .. لقد حذرتكما .

قالها وتبعهما إلى درجات السلم الضخم ، التى تقود إلى قمة أسوار القلعة ، حيث مدخل البرج ..

كانت الأسوار ترتفع لعشرة أمتار ، حيث يمتد إفريز عريض ، يبدأ عنده مدخل البرج ، ولم يكد الثلاثة يبلغون الإفريز ، حتى أطلق ( ميشيل ) زفرة قوية ، وهتف فى حنق وتوتر :

- لماذا كانوا يصنعون درجات السلم بهذه الضخامة ؟ من

كان يصعد إلى قمة الأسوار ؟ العمالقة ؟!

أجابه ( ميخا ) ، وهو يلوح بسبابته أمام وجهه :

- الكونت ( دراكيولا ) لا يحتاج إلى درجات السلم .

قال ( باسل ) ضاحكاً :

- لماذا ؟ هل يطير ؟

هتف ( ميخا ) بسرعة :

- بالطبع .. ألم تقرأ شيئاً عن هذا ؟ الكونت ( دراكيولا )

هو مصاص الدماء الوحيد ، الذى يمكنه أن يتحول إلى خفاش أو ذئب .

قال ( ميشيل ) ، فى لهجة امتزجت سخريتها بغضبها :

- وماذا عن الباقيين ؟ هل يتحولون إلى ضفادع وثعابين

وعقارب ؟!

صاح ( ميخا ) :

- لماذا تسخر من مثل هذه الأمور يا سيد ( ميشيل ) ؟

أجابه ( ميشيل ) فى حدة :

- لأنها لا تستحق أكثر من السخرية ، والـ ...

بتر عبارته بغتة ، وارتجف جسده فى شدة ، واتسعت عيناه

فى هلع واضح ، وهو يحدق فى نقطة ما ، فى الجانب المقابل

من الأسوار ، فالتفت ( باسل ) إلى حيث ينظر ، وهو يهتف فى

قلق :

- ما الذى أفزعك إلى هذا الحد ؟

شحب وجه ( ميشيل ) ، وارتجفت سبابته ، وهو يشير إلى

حيث ينظر ، قائلاً :

- فليكن .. سنتظاهر بأنك لم تر شيئاً ، ونركز جهودنا على دخول هذا البرج .

قالها ودفع باب البرج بكل قوته ..

ولكن الباب لم يستجب ..

وقال ( ميخا ) فى توتر :

- إنه مغلق من الداخل بالتأكيد .. لن يتركه الكونت مفتوحاً .

حاول ( باسل ) دفع الباب عدة مرات ، ولكنه كان مغلقاً من

الداخل بالفعل ، فتمتم ( ميشيل ) فى خفوت :

- لن يمكننا دخوله .

ولكن ( باسل ) مال من جانب السور ، وقال :

- ربما توجد وسيلة ، فهناك نافذة للبرج ، إلى جوار السور ،

ويمكننى الوصول إليها ، وفتح الباب من الداخل .

تطلع إليه ( ميشيل ) و ( ميخا ) فى صمت ، دون أن يحاولا

الاعتراض ، فوثب يقف على قمة السور ، ثم مال فى رشاقة ،

وتعلق بحافة النافذة ، وهو يقول :

- أرايتما .. إنها ليست بالمهمة الصعبة ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى نقطتين لامعتين حمراوين أمامه ..

ثم انطلق ذلك الخفاش فجأة عبر النافذة ، وارتطم بوجهه ، و ..

وأفلتت يد ( باسل ) ، وهوى ..

هوى من أعلى أسوار القلعة ..

★ ★ ★

- هناك .. لقد رأيت ال .. ال .. ال ..

كان منفعلاً ، حتى إنه عجز عن إتمام عبارته ، فربت

( باسل ) على كتفه مهدناً ، وهو يقول فى صوت خافت :

- اهدأ يا رجل .. اهدأ يا صديقى .. ما الذى رأيت بالضببط ؟

حدق ( ميشيل ) فى تلك النقطة ، على الجانب المقابل من

الأسوار ، قبل أن يقول فى اضطراب عظيم :

- كان يقف هناك .. هو نفسه .. بشحمه ولحمه ، ووجهه

المخيف البارد .

سأله ( باسل ) فى دهشة شديدة :

- من تقصد ؟

هتف ( ميخا ) :

- ومن سواه ؟ ألم تفهم بعد يا سيد ( باسل ) ؟ إنه يقصده

هو .. يقصد الكونت ( دراكيولا ) .

قال ( ميشيل ) فى توتر شديد :

- نعم .. الكونت ( دراكيولا ) .. كان يقف هناك ، ونظر إلى

لحظة ، ثم اختفى داخل ذلك الباب المفتوح .

عاد ( باسل ) يلقي نظرة على المكان نفسه ، ثم قال فى قلق :

- ربما هو ظل ، أو ...

لم يحاول إتمام عبارته ، إذ بدا له أنها لن تفيد كثيراً ، فى

التخفيف من توتر ( ميشيل ) ، أو إقناعه بأنه لم ير ما يعتقد

أنه قد رآه ، لذا فقد أدار دفة الحديث بعيداً ، وهو يقول :

### ٣ - الـدم ..

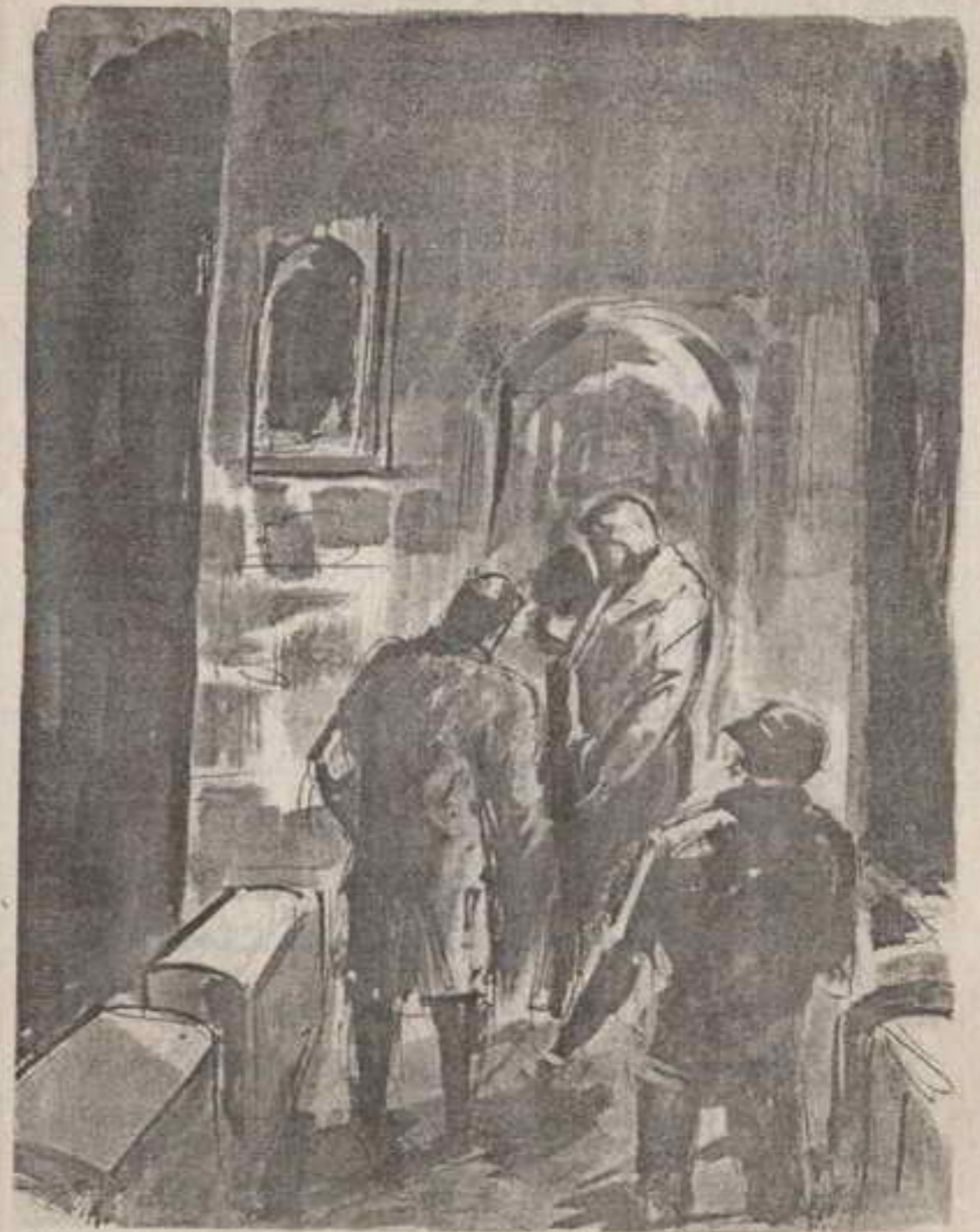
لم يكن هناك حائل واحد ، بين ( باسل ) ، والسقوط من فوق أسوار القلعة ..

ولكن يد ( ميشيل ) امتدّت فجأة ، لتقبض على معصم ( باسل ) ، قبل أن يهوى جسده إلى أعماق الخندق ، المحيط بالأسوار ، وارتفع صوت ( ميشيل ) يصرخ في انفعال :  
- تماسك يا ( باسل ) .. تشبّث بيدي جيداً .

ولم يكن ( باسل ) بحاجة فعلياً إلى القول ، فلم يكذب يشعر بأصابع ( ميشيل ) حول معصمه ، حتى دفع قدميه إلى الأمام ، وألصقهما بجدار القلعة ، ليخفف من سرعة سقوطه ، ثم رفع يده الأخرى ليمسك بحافة السور ، فتراجع ( ميشيل ) بسرعة ، وهو يجذبه إلى أعلى ..

ولم يستغرق الأمر أكثر من ثوان معدودة ، وجد ( باسل ) نفسه بعدها فوق ذلك الإفريز العريض ، المحيط بأسوار القلعة من الداخل ، وسمع ( ميشيل ) يلهث ، قائلاً :

- لست أصدق أنني فعلت هذا .. لقد رأيت ذلك الخفاش يندفع عبر النافذة ، ورأيتك تسقط ، ثم وجدت نفسي أقفز بكل



قالها ودفع باب البرج بكل قوته ..  
ولكن الباب لم يستجب ..

قوتى ، وأمسك معصمك .. صدقتى يا ( باسل ) .. لست أدري كيف فعلتها .

رَبَّت ( باسل ) على كتفه ، وهو يلهث بدوره ، قائلاً :

- إنها مشيئة الله ( عز وجل ) يا رجل .. لم تحن لحظة

مصرعى بعد .

اندفع ( ميخا ) فى هذه اللحظة ، يسأله :

- ولكن ماذا حدث هناك ؟ أهو الخفاش الذى أفرعك فحسب ؟

تطلع ( باسل ) إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يجيب :

- بل رأيت شيئاً أدهشنى .

سأله ( ميشيل ) بسرعة :

- شىء مثل ماذا ؟

أجابه وهو يلوح بكفه :

- شىء أشبه بزواج من الأعين البشرية ، تضىء بلون

أحمر وسط الظلام .

ترجع ( ميخا ) فى حركة حادة ، وحدث فى باب البرج ،

هاتفاً :

- إنه هو .. إنه يدافع عن برجه ..

قال له ( ميشيل ) فى صرامة :

- كف عن سخافاتك هذه يا ( ميخا ) .

صاح ( ميخا ) :

- سخافاتى؟! لقد رآه السيد ( باسل ) بنفسه .. ألم ترى كيف تحول إلى خفاش أمام أعيننا ، وطار فى وجه السيد ( باسل )؟! :

ابتسم ( باسل ) ، وهو يقول :

- إننى لم أقل شيئاً كهذا يا رجل .. لقد رأيت شيئاً يشبه

الأعين البشرية ، ثم طار خفاش فى وجهى ، وهذا لا يعنى كل

ذلك .. إنه مجرد خفاش ، أفرعه تواجدى المباحث ،

والخفافيش - كما تعلم - تتخذ من تلك الأطلال القديمة مستقراً

فى المعتاد .

ثم نهض يعتلى السور مرة أخرى ، مستطرداً :

- وسأثبت لك أننى لا أوافقك على رأيك .

وثب فجأة ، ليتعلق بحاجز النافذة ، ثم دفع جسده عبرها ،

فهتف ( ميخا ) :

- سيقتنصه مصاص الدماء .. سينزع كل قطرة دم فى

جسده .

لوح ( ميشيل ) بيده فى وجهه ، هاتفاً :

- اصمت يا رجل .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى فتح ( باسل ) الباب من الداخل ،

وهو يقول :

- أرايتما ؟ لم يكن ذلك بالأمر العسير .

بدا ( ميخا ) شديد التوتر ، وهو يحمل المشعل ، في حين أسرع ( ميشيل ) يعبر الباب ، وهو يسأل ( باسل ) :

- هل وجدته مغلقاً من الداخل ؟

أجابه ( باسل ) :

- نعم .. كان ذلك .

هتف ( ميخا ) :

- إنن فهو في الداخل .

ضحك ( باسل ) وهو يقول :

- عجباً ! ألم تقل منذ قليل : إنه غادر البرج في هيئة خفاش ؟

ولكن ( ميشيل ) لم يشارك ( باسل ) سخريته هذه المرة ، وإنما عقد حاجبيه ، وهو يقول في جدية ، لا تخلو من التوتر :

- الأمر لا يحتمل السخرية يا ( باسل ) ، فكون الباب مغلقاً من الداخل ، يعنى أنه هناك شخص ما ، أو شيء ما هنا .

وافق ( باسل ) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- بالتأكيد .. وهناك أيضاً ما هو أخطر .

سأله ( ميخا ) في قلق واضح :

- مثل ماذا ؟

أشار ( باسل ) إلى رتاج الباب ، وهو يقول :

- مثل هذا .. إنه رتاج حديث ، من ماركة يل العالمية ،

ولا أعتقد أن صديقنا الكونت ( دراكيولا ) كان يمتلك مثله في عصره .

حدق ( ميشيل ) في الرتاج بدهشة ، وغمغم :

- هذا صحيح .

أما ( ميخا ) ، فلوح بكفه ، وقال :

- وماذا في هذا ؟ هل تظن أن الكونت ( دراكيولا ) سيظل

حتى أبد الدهر ، دون أن يجدد قلعته .

قال ( باسل ) بسرعة :

- وكيف سيفعل يا رجل ؟ هل يستعين بعمال من مصاصي

الدماء القدامى !؟

عقد ( ميخا ) حاجبيه في غضب ، في حين قال ( ميشيل ) :

- إنها نقطة تستحق التوقف والتفكير بالفعل يا ( باسل ) .

أشار ( باسل ) إلى أعلى ، وقال :

- وربما وجدنا الجواب هناك .. في حجرة البرج .

تطلع ( ميخا ) و ( ميشيل ) إلى حيث يشير ، ثم غمغم

الأخير :

- نعم .. ربما .

التقط ( باسل ) المشعل من ( ميخا ) ، وراح الثلاثة

يصعدون كل تلك الدرجات ، حتى حجرة البرج ، القائمة بالقرب

من قمته ، وعندما اقتربوا منها ، همس ( ميشيل ) في توتر :



- هناك ضوء ينبعث في الحجرة .

غمغم ( باسل ) :

- إنها نيران على الأرجح .

تحركوا بسرعة أكبر ، حتى بلغوا الحجرة ..

وهنا اتسعت عينا ( باسل ) في دهشة بالغة ..

إنها لم تكن حجرة عادية ، بأى مقياس كان ، بل كانت -

على الرغم من صغر حجمها نسبياً - أشبه بالقصر ، لفخامة

أثاثها ، وأناقة ترتيبها ..

كان هناك فراش صغير ، وثلاثة مقاعد ، ولوحات فنية

أصلية على الجدران ، ومدفأة تشتعل داخلها النيران ، وتحف

ثمينة ..

وكان هناك شعار ضخم ، يحتل معظم الجدار المقابل ..

شعار الكونت ( دراكيولا ) ..

وفي انبهار كامل ، هتف ( ميشيل ) :

- ما كل هذا ؟ وكان أميراً يقيم هنا .

تمتم ( ميخا ) في خفوت :

- ( دراكيولا ) هو أمير الظلام .

قال ( باسل ) :

- حقاً ؟!

كان صوته يحمل قدرًا ضخمًا من السخرية ، جعل ( ميخا )

يلتفت إليه في حدة ، ويقول بصوت غاضب :

- أما زلت تسخر مما تراه يا سيد ( باسل ) ؟ أى دليل تريد

أكثر من هذا ، على وجود الكونت ( دراكيولا ) ؟

أشار ( باسل ) بذراعيه لما حوله ، وهو يقول :

- وهل يوجد هنا دليل واحد على وجوده ؟!

هتف ( ميخا ) :

- وماذا عن هذا الشعار ؟ أليس شعاره المعروف ؟

مال ( باسل ) نحوه ، وهو يقول :

- اسمع يا هذا .. أنا لا ، ولن أومن بوجود ما تطلقون عليه

اسم مصاص الدماء ، فالله ( سبحانه وتعالى ) وحده يحيى

ويميت .. هكذا تقول شريعتي ، وهكذا أومن ، فلا تحاول

إقناعي بالعكس ، مهما تصوّرت قوة حجّتك ، ومهما ..

قاطعته فجأة صوت واضح ، يأتي من أسفل ، فهتف ( ميشيل )

في زعر :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابته ( باسل ) في حزم :

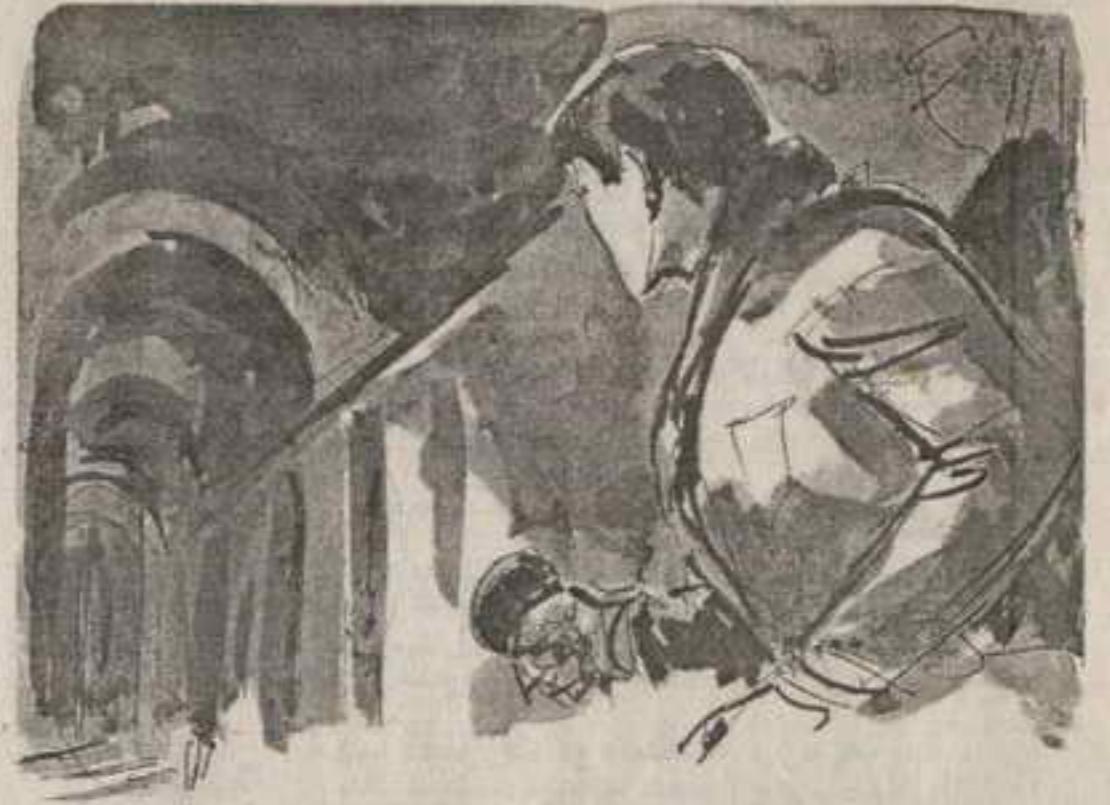
- سنرى ما هذا بالضبط .. ناولتى مصباحك اليدوى .

قالها وعاد يهبط في درجات سلم البرج في حذر ، وهو

يحمل المصباح اليدوى الصغير ، بعد أن ترك المشعل في يد

( ميخا ) ، وسمع خطوات تصعد في وضوح ، فاتعقد حاجباه ،

وتمتم في صوت شديد الخفوت :



- ترى هل قرّر الكونت (دراكيولا) مواجهتنا .

كان وقع الخطوات يقترب منه صعودًا ، فالتصق بالجدار ،  
وأطفأ المصباح ، وأرهف سمعه ، حتى أصبحت الخطوات على  
قيد متر واحد منه ..

ثم أشعل المصباح في وجه القادم ..

وكانت مفاجأة ..

مفاجأة حقيقية ..

★ ★ ★

حدّق ( باسل ) في وجه الرجل الواقف أمامه لحظة ، قبل أن  
يهتف في دهشة كبيرة :

- الضابط ( لوركا ) !؟

كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه ( لوركا ) :

- يا إلهي ! لقد أفزعتني حقًا يا ( باسل ) .. ماذا تفعل

داخل البرج ؟ لقد ظننتك أحد مهربي المخدرات .

قال ( باسل ) :

- لقد أخبرناك أننا في طريقنا إلى هنا ، ولكن كيف نجحت

في دخول القلعة ؟ لقد ارتفع الجسر ، وعزلها عن المكان .

أجابه ( لوركا ) في اقتضاب :

- هناك ممر سرّي أعرفه .

ثم أشار إلى أعلى ، مستطردًا :

- قل لي : هل رفيقك بأعلى ؟

أوماً ( باسل ) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. إنهما هناك .

صعد ( لوركا ) معه إلى تلك الحجرة ، وهتف ( ميشيل )

عندما رآه :

- الضابط ( لوركا ) !؟ يا لها من مفاجأة .

أدار ( لوركا ) عينيه في المكان ، وقال :

- يا لها من حجرة فاخرة .. أى سلطان يقيم هنا ؟

أجاب ( باسل ) مبتسمًا :

- المقترض أنه الكونت ( دراكيولا ) .

أطلق ( لوركا ) صفيرًا طويلًا ، قبل أن يهتف :

- حقًا؟! فى هذه الحالة ينبغى أن تسرعوا بمغادرة المكان .

سأله ( باسل ) فى اهتمام :

- هل تصدق مثل هذه الخرافة ؟

أجاب ( لوركا ) :

- بالتأكيد .. أنا أعلم أن الكونت ( دراكيولا ) حى .

هتف ( باسل ) فى حدة :

- ماذا أصابكم جميعًا ؟ كيف تصدقون أمرًا سخيلاً كهذا؟!

كيف يؤمن أحدكم بأن شخصًا ما ، مهما بلغت قوته ، يمكنه أن

يحيا وقتما يشاء ولأية فترة يرغب؟!

أجابه ( لوركا ) فى توتر :

- اسمع أيها العربى .. هذه أساطيرنا ، التى نصدقها ، و ...

بتر عبارته بغتة ، مع جلبة مباغتة ، ارتفعت من أسفل

البرج ، فاعتدل الجميع دفعة واحدة ، وهتف ( ميشيل ) :

- ما هذا ؟

انتزع ( لوركا ) مسدسه ، وقال فى صرامة :

- ابقوا فى أماكنكم .. سأفقد المكان ، وأعود على الفور .

قال ( باسل ) فى حماس :

- سأصحبك إلى أسفل .

التفت إليه ( لوركا ) فى عنف ، وقال :

- كلا .. سأذهب وحدى .. هذا أمر .

لم يكن من حقه فعلاً إصدار الأوامر لـ ( باسل ) ، إلا أن هذا

الأخير لم يشأ إضافة مزيد من التوتر للموقف ، فلاذ بالصمت ،

ووقف إلى جوار ( ميشيل ) و ( ميخا ) ، فى حين هبط ( لوركا )

إلى أسفل ، وغاب وسط الظلام ، فتمتم ( ميشيل ) :

- شجاع هذا الضابط .

وقال ( ميخا ) :

- لم أكن لأهبط وحدى ، مهما كانت الأسباب .

تطلع إليهما ( باسل ) فى صمت ، ثم عاد ينظر إلى الفتحة ،

التي هبط منها ( لوركا ) وعشرات الأسئلة والأفكار تدور فى

عقله ..

وفجأة ، انطلقت صرخة ، رهيبة من أسفل ..

صرخة تحمل صوت ( لوركا ) وأعقبها دوى ثلاث

رصاصات متتالية ، فصرخ ( ميخا ) فى رعب :

- لقد رآه .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى سمع ثلاثتهم خفقات أجنحة قوية ،

ثم اندفع خفاش كبير فى الفتحة التى تقود إلى أسفل ، وانطلق

يعبر النافذة بسرعة ، فهتف ( ميشيل ) :

- إنه هو .

صاح به ( باسل ) :

- هل ستصدق أنت أيضاً هذا الهراء ؟

خفض ( ميشيل ) عينيه خجلاً وتوتراً ، فى حين اندفع ( باسل ) نحو الفتحة ، وهم بالهبوط إلى أسفل ، لولا أن ظهر ( لوركا ) فجأة ، وهو يحمل مسدسه ، الذى تنبعث الأبخنة فى فوهته ، وهتف :

- إنه هو .. لقد رأيته بنفسى .. لم أكن لأصدق هذا ، لولا أن رأيته بعينى .

صاح به ( ميشيل ) :

- ماذا رأيت بالضبط ؟

ازدرد ( لوركا ) لعابه ، ولوح بمسدسه ، وهو يقول :

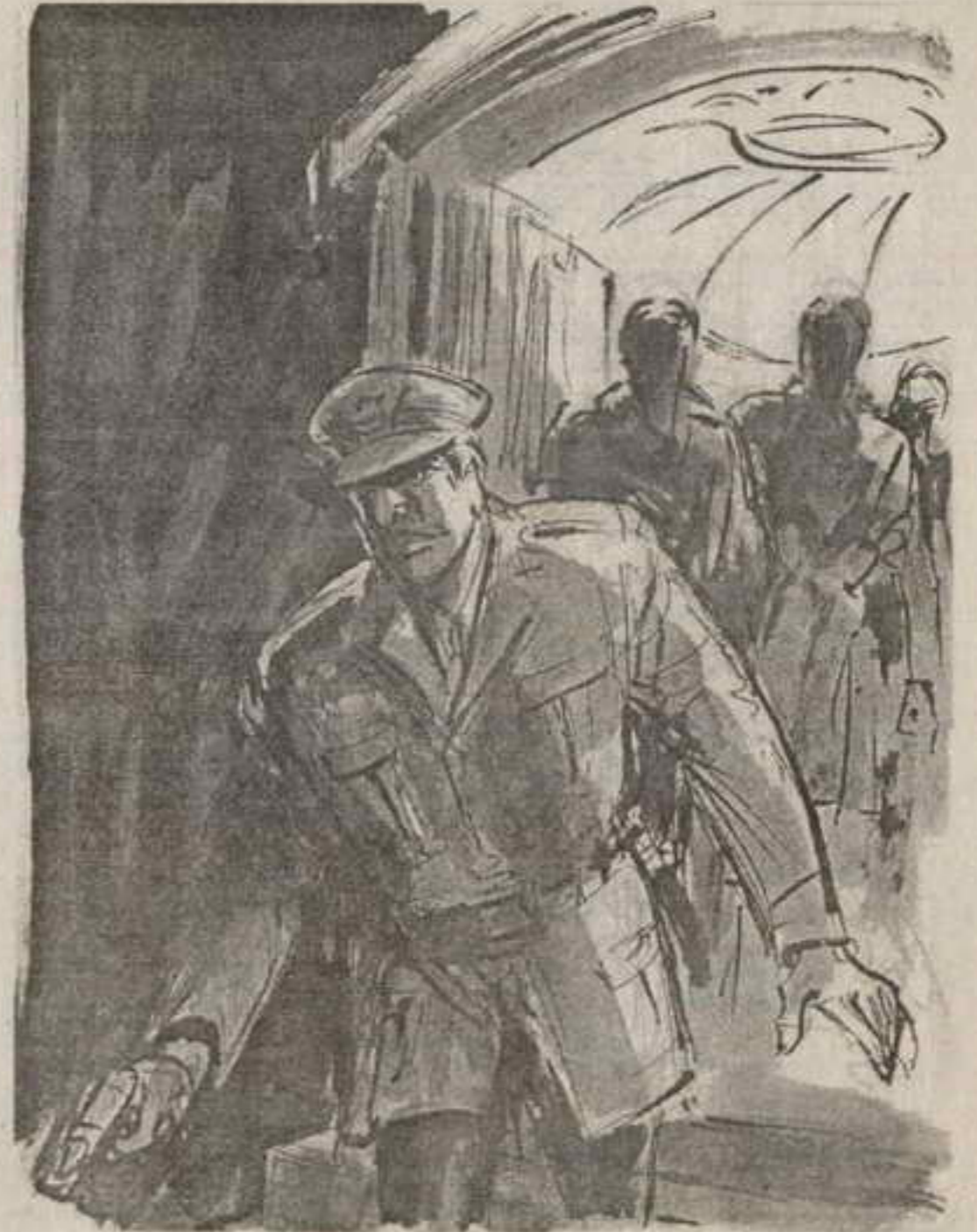
- لقد هبطت لأستطلع أمر تلك الجلبة ، ولكن المكان كان خالياً ، وفجأة دخل خفاش من النافذة ، وهبط على الأرض ، ثم فوجئت به ينمو بعتة ، ويتحول إلى .. إلى ..

هتف ( ميخا ) :

- إلى الكونت ( دراكيولا ) .

أشار إليه ( لوركا ) بأصابع مرتجفة ، قائلاً :

- بالضبط .. لقد وجدته أمامى ، فلم أتمالك نفسى ، وأطلقت صرخة رعب ، ثم رحمت أطلق عليه رصاصات مسدسى ، ولكن



فى حين هبط «لوركا» إلى أسفل وغاب وسط الظلام ..

الرصاصات اخترقته ، وارتطمت بالحائط ، دون أن يهتز له رمش ، وبعدها تحول مرة ثانية إلى خفاش ، وصعد إلى هنا .

ثم أخفى وجهه بكفيه ، هاتفاً :

- كان أمراً بشعاً .. بشعاً للغاية .

توتر ( ميشيل ) بشدة ، وهو يتراجع مغمغماً :

- إذن فالأمر صحيح .. الكونت ( دراكيولا ) موجود .

وهتف ( ميخا ) :

- لم أشك في هذا لحظة واحدة .

أما ( باسل ) فقد ظل صامتاً ، معقود الحاجبين ، وترك

( لوركا ) يقول في عصبية شديدة :

- لا بد أن تغادر هذه القلعة ، بأسرع ما يمكننا .

قال ( ميشيل ) :

- كيف؟! إننا أسرى هنا .

أجابه ( لوركا ) :

- اطمئن .. أعرف طريقاً سريعاً للخارج .

هتف ( ميخا ) في لهجة مبالغة :

- حقاً؟! قدنا إليه بالله عليك .. أريد أن أغادر هذا المكان

فوراً .

أشار ( لوركا ) بيده ، وهو يقول :

- إنه هناك .. في الجدار الخلفي .. سنهبط من هنا ، ونعبر

الساحة ، ونتجه إلى أطلال البرج الأيسر ، و ...

قاطعه ( باسل ) فجأة :

- أظننى أفضل البقاء هنا .

التفت إليه الجميع في دهشة ، وهتف ( ميخا ) :

- هل جننت؟ أتبقى وحدك مع مصاص الدماء؟

أدهشتهم ابتسامته أكثر ، وهو يقول في بساطة :

- ولم لا؟ أعتقد أنه طريف للغاية .

قال ( ميشيل ) في دهشة :

- ( باسل )؟! ماذا أصابك يا صديقى؟

التفت إليه ( باسل ) ، وقال :

- لا شيء يا ( ميشيل ) .. فلتقل إننى أحب الخطر ، وأميل

إلى قضاء سهراتى مع مصاص الدماء .

صاح ( لوركا ) في حدة :

- هل تسخر من مصاص الدماء؟

قال ( باسل ) :

- إننى أسيطر على مشاعرى ، حتى لا انفجر ضاحكاً

يا رجل .

ردد ( ميخا ) :

- تنفجر ضاحكاً؟!!

كان صوته يحمل من القلق أكثر مما يحمله من الدهشة ،

حتى إن ( ميشيل ) التفت إليه في حدة ، وقال :

- ما الذى يحدث هنا ؟ هناك أمر لا أفهمه .

قال ( باسل ) فى هدوء :

- دعنى أشرح لك إذن يا صديقى .. لقد شاهدنا الليلة

مسرحية هزلية سخيفة ، تعرف باسم ( ملهارة مصاص الدماء ) ،

وكان وقت إسدال الستار عليها ، ومواجهة مخرجها المحتال .

والتفت إلى أحد الرجلين ، مضيفاً فى حزم :

- أنت .

وكانت مفاجأة جديدة ..

وعنيفة ..

★ ★ ★

## ٤ - الانسطورة ..

انعقد حاجبا الضابط ( لوركا ) فى غضب ، عندما أشارت إليه سبابة ( باسل ) ، وهتف فى حدة ساخطة :

- هل جننت أيها العربى ؟! كيف تجرؤ على توجيه اتهام

كهذا إلى ضابط فى فرقة مكافحة المخدرات ؟

قال ( ميشيل ) فى توتر :

- ( باسل ) يا صديقى .. يبدو أن أعصابك المتوترة قد ..

قاطعه ( باسل ) فى هدوء :

- اطمئن يا ( ميشيل ) .. ليس لأعصابى أى شأن بهذا ..

إنها عملية منطقية عقلانية استنتاجية بحتة .. وأنا فى الواقع

أشك فى كون ( لوركا ) ضابطاً فى فرقة لمكافحة المخدرات ،

بل أعتقد - وهذا هو الأرجح - أنه أحد كبار مهربي المخدرات

فى المنطقة .

اتسعت عينا ( ميخا ) فى هلع ، فى حين قال ( لوركا ) فى

حدة :

- يبدو أن الخوف قد أفقدك صوابك .

أطلق ( باسل ) ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

- الخوف؟! من ماذا يا رجل؟ إنكم حتى لم تتقنوا اللعبة .  
ثم التفت إلى ( ميشيل ) ، الذي علت الدهشة وجهه ، وقال  
متجاهلاً الآخرين تماماً :

- صدقتي يا ( ميشيل ) .. كل ما رأيناه ومررنا به اليوم ،  
ليس سوى مسرحية هزلية سخيفة ، حاولوا إقناعنا بها ، حتى  
نتبعد عن تلك القلعة ، التي يتخذونها وكراً ، لتخطيط وتدبير ،  
وربما لعقد صفقات المخدرات .

قال ( ميخا ) في عصبية :

- أي قول أحمق هذا ؟

التفت إليه ( باسل ) ، وقال :

- من الطبيعي أن تقول هذا يا عزيزي ( ميخا ) ، ما دمت  
متورطاً في الأمر .

شحب وجه ( ميخا ) وتراجع في حركة حادة كالمصعوق ،  
في حين هتف ( ميشيل ) في ذهول :

- ( ميخا )؟! متسحيل !

ربت ( باسل ) على كتفه مهدناً ، وهو يقول :

- اهدأ يا صديقي ، وسأشرح لك الأمر كله .. هل تذكر  
البداية هذا الصباح ، عندما أخبرتنى بأمر تلك القلعة السرية ؟  
إننا لم نكد نأتى على ذكرها ، حتى أصيب ( ميخا ) بتوتر شديد ،  
وراح يثير رعبنا وخوفنا ، في محاولة لمنعنا من زيارتها ،

وعندما فشلت محاولته هذه ، وافق على مرافقتنا إليها ، وهو  
الذي كان يرتجف خوفاً لمجرد ذكر اسمها .. لقد أثار هذا  
شكوكي في البداية ، ولكنني لم أنتبه حينذاك إلى أن المحادثة  
الهاتفية ، التي ادعى أنها لزوجته ، كانت في الواقع لهذا الرجل  
( لوركا ) ، أو لأحد أعوانه ، حتى يستعد لاستقبالنا ، وإثارة  
رعبنا .

قال ( ميشيل ) ذاهلاً :

- ولكن الجميع في البلدة يقولون ..

قاطعته ( باسل ) ..

الجميع في البلدة يرددون ما نجح هؤلاء المهربون في  
غرسه في عقولهم ، خاصة وهم ينشرون شائعات مخيفة ،  
وينطلقون بتلك العربة المصبوغة بالسواد ، في الليالي المقمرة ،  
لإثارة الرهبة والخوف ، اللذين يساعدان على ابتعاد الناس ،  
وعزوفهم عن الاقتراب من القلعة ، وبهذا يخلو الجو تماماً  
لمهربى المخدرات .

ازداد ( ميخا ) شحوباً وانكماشاً ، في حين قال ( لوركا )  
في حدة :

- وماذا عن الشبح ، الذي رآه ( ميشيل ) ؟

تألفت عينا ( باسل ) ، وهو يقول :

- هذا الشبح هو دليل جديد لإدانتك يا ( لوركا ) .. فلم يشر

أحدنا إلى هذا الأمر ، منذ وصولك ، فكيف إذن أمكنك معرفته ،  
لو لم تكن أحد المشاركين في صنعه ؟  
التقى حاجبا ( لوركا ) في شدة ، في حين تابع ( باسل ) في  
ثقة :

- وصولك بالذات هو الذي فجر كل الشكوك في أعماقي  
يا ( لوركا ) ، فعلى الرغم من محاولتك إخافتنا في الدغل ،  
تفجرت فيك شجاعة مبالغتة ، جعلتك تأتي إلى القلعة ، التي  
حذرتنا من الاقتراب منها ، بل وتعبير ممرًا سرّيًا إليها ، وبعدها  
تفتعل تلك المشاجرة الوهمية مع مصاص دماء مزعوم ، يتحوّل  
إلى خفاش .. والواقع أنكم تجيدون العبث بتلك الخفافيش .  
وبخاصة ذلك الذي أطلقه أحدكم في وجهي ، عندما كنت أهم  
بالدخول عبر النافذة .

قال ( ميشيل ) مبهوراً :

- وماذا عن الأعين شبه البشرية الحمراء ؟

أجابه ( باسل ) في بساطة :

- مجرد مصباح صغير يا صديقي ، ألصقت فوقه تلك الأعين  
الحمراء ، فبدا في الظلمة كزوج من الأعين المخيفة .

قال ( لوركا ) فجأة بحدّة :

- على الرغم من أناقة استنتاجك هذا ، إلا أنه يفتقد الدقة ،  
فما تزال هناك نقطة تعجز عن تفسيرها .

سأله ( باسل ) في هدوء :

- وما هي ؟

أجابه في شيء من الشجاعة :

- لو أننا مهربو مخدرات كما تدعى ، فلماذا نحاول إخافتكما ،  
بدلاً من أن نقتلكما وننهي الأمر ؟  
ابتسم ( باسل ) وهو يقول :

- سؤال طريف يا رجل ، ولكن الجواب أكثر طرافة ، فقتلنا  
لا يفيدكم كثيراً ، كما يفيدكم إفزاعنا فحسب ، فهذا الفرع  
سيصبح نقطة تقوية ، بالنسبة للخرافة التي تنتشرونها ..  
وعودتنا بوجوده شاحبة تخدم أغراضكم ، بأكثر مما تفعل جثتنا ..  
ثم إن قتلنا قد يثير رجال الشرطة والأمن والصحافة ، فتصبح  
هناك مشكلات عديدة ، أنتم في غنى عنها .

انتهى ( باسل ) من عبارته ، فران على المكان صمت  
رهيب ، قطعه ( ميشيل ) ، وهو يهتف :

- إذن فالأمر كذلك .

بدا ( ميخا ) منهاراً ، وهو يقول :

- أستاذ ( ميشيل ) .. أقسم لك إنني لم أكن أقصد أن ..

صاح به ( ميشيل ) في غضب :

- اصمت أيها الخائن .. إنك لا تستحق حرفاً واحداً ، ألقيه

على مسامعك .. إنك خائن جبان .. وسترى ما سأفعله ، عندما  
أعود إلى الجريدة ، وأفضح هذا كله .



ولكن ( لوركا ) استلّ مسدسه بفتّة ، وصوبه إلى ( باسل )  
و ( ميشيل ) ، قائلاً في صرامة وعصبية :  
- هذا لو عدت إليها .



ترجع ( ميشيل ) بحركة حادة ، وهو يهتف :  
- ماذا ستفعل يا رجل ؟

هزّ ( لوركا ) كتفيه ، وقال :

- لم يعد لدينا خيار آخر ، فصديقك العربي هذا أنكى وأشجع  
مما توقعنا ، واستنتاجه جاء دقيقاً لدرجة مدهشة ، ولم يعد  
بإمكاننا الإبقاء عليكما .

التقى حاجبا ( ميشيل ) في نوتر بالغ ، وهو يقول :  
- هل .. هل ستقتلنا ؟

هزّ ( لوركا ) كتفيه ، وقال :  
- ألدك حل آخر ؟

التفت ( ميشيل ) إلى ( ميخا ) ، وقال في عصبية :  
- ( ميخا ) .. هل ستتركه يفعل هذا ؟

أشاح ( ميخا ) بوجهه ، متمتماً :

- معذرة يا سيد ( ميشيل ) .. لا يمكنني مخالفة أوامر الزعيم ..  
ثم إنه على حق .. لا يوجد حل آخر .

اعتدل ( باسل ) ، وهو يقول :

- من قال هذا ؟ هناك حل آخر بالتأكيد .

سأله ( لوركا ) في سخرية :

- ما هو أيها الذكي ؟

وهنا ألقى ( باسل ) المشعل بفتّة في وجه ( لوركا ) الذي  
انحنى لتفاديه ، ولكنه ، وقبل أن يعتدل ، فوجئ بقبضة ( باسل )  
في فكه ، فسقط مسدسه أرضاً ، وارتطم رأسه بالجدار ، فترنح  
في عنف ، ودارت عيناه في محجريهما ، وقبل أن يتمالك نفسه ،  
هوى ( باسل ) على فكه بلكمتين أخريين ، أسقطه فاقد الوعي ،  
فصاح ( ميخا ) ، وهو يهاجم ( باسل ) :  
- لا .. لا يمكنك أن تفعل هذا .

استقبله ( باسل ) بكلمة في أنفه ، وهو يقول :  
- من قال هذا ؟

ثم أتبعها بثانية في فكه ، مستطردًا :  
- أنت أم الكونت ( دراكيولا ) .

سقط ( ميخا ) أيضًا فاقد الوعي ، فأسرع ( باسل ) يلتقط  
مسدس ( لوركا ) في حين هتف ( ميشيل ) في انفعال :  
- رائع .. رائع يا ( باسل ) .. سنلقى القبض عليهما ،  
ونرحل من هنا .

ولكن فجأة ، ارتفع صوت يقول :  
- ليس بعد أيها السيدان .

التفت الاثنان بسرعة إلى مصدر الصوت ، عند الفتحة التي  
تقود إلى أسفل البرج ، ورأيا أمامهما مدفعًا آليًا ، مصوبًا إلى  
رأسيهما مباشرة ، وخلفه آخر شخص يتوقعان رؤيته !!  
الكونت ( دراكيولا ) ..  
شخصيًا ..

★ ★ ★

مضت لحظات طويلة من الصمت ، و ( باسل ) و ( ميشيل )  
يحدقان في وجه الكونت ( دراكيولا ) ، ببشرته المائلة إلى  
الزرقة ، وعينييه الحمراء ، وأنيابه البارزة ، وثيابه الحالكة  
السواد ، ثم هتف ( ميشيل ) :

- إنه هو .. هو نفسه الذي رأيته .

قال ( باسل ) وهو يخفض مسدسه :

- تنكر بارع ، يمكن أن يخدع أي ساذج يصدق حكايات  
مصاص الدماء هذه .

ابتسم الرجل المتنكر في هيئة الكونت ( دراكيولا ) ، وهو  
يقول :

- إذن فأنت لا تصدق أنني مصاص دماء حقيقي .

هزّ ( باسل ) كتفيه ، ومطّ شفتيه ، قائلاً :

- لا يوجد شيء اسمه مصاص دماء يا رجل .. أنت تعلم  
هذا جيدًا .. ثم ما حاجة مصاص دماء أسطوري لمدفع آلي .

أطلق الرجل ضحكة ساخرة ، وقال :

- صدقت يا فتى .. المدفع الآلي مفيد لي وحدي ، لأمنعكما  
من مغادرة القلعة .

قال ( باسل ) في برود :

- من يدري ؟ ربما عجزت عن ذلك .

أطلق الرجل ضحكة أخرى ، ثم أخرج جهازًا صغيرًا من  
جيبه ، وهو يقول :

- أتقصد نجاحكما في الهروب من هنا ؟! كم أتمنى لو أنكما

فعلتما .. هل تعلم ما هذا الذي أمسكه بيدي ؟ إنه جهاز تحكم

عن بعد ( ريموت كنترول ) .. أتدري أي شيء أتحكم فيه بهذا

الجهاز؟ إنه قنبلة صغيرة، وضعتها داخل سيارتكما، ولو نجحتما في الفرار، وابتعدتما مائة متر كاملة، يكفي أن أضغط هذا الزر الصغير، فتنفجر السيارة هكذا.

قالها وضغط الزر، فدوى انفجار السيارة في الخارج، وبدا وهج النيران واضحا، وقال (ميشيل) في توتر:

- لقد فعلها.

قال الرجل ساخرًا:

- الآن لم تعد أمامكما وسيلة واحدة للعودة إلى البلدة.

ثم أشار إلى (لوركا) و (ميخا) الفاقدي الوعي، مستطردًا في صرامة:

- والآن هيا.. حاولا إتعاش هذين الزميلين.

تبادل (باسل) و (ميشيل) نظرة سريعة، ثم خفض هذا الأخير عينيه، وغمغم في مرارة وأسى:

- هيا يا (باسل).. ليس أمامنا سوى طاعته.

عقد (باسل) ساعديه أمام صدره، وهو يقول في حزم:

- لن أطيع مجرمًا كهذا.

بدا الغضب على وجه الرجل، وهو يصوب فوهة مدفعه إلى (باسل)، قائلاً:

- بل ستطيع أوامري أيها العربي.. إنك لا تعلم ما يمكنني

فعله.. إننى ألعب دور سائق سيارة الموت منذ خمسة أعوام،

قتلت خلالها عشرة أشخاص، ولن يضيرنى أن أضيف اثنين إلى قائمتى.

تجاهله (باسل) تمامًا، وهو يلتفت إلى (ميشيل)، قائلاً:

- هل لاحظت هذا؟ يقول منذ خمس سنوات.. أى منذ

تصور أهالى البلدة أن الكونت (دراكيولا) قد استيقظ.

صاح الرجل في ثورة:

- لا تتجاهلنى أيها العربي.

استدار إليه (باسل) في برود وقال:

- ولكنى أهوى تجاهل أمثالك.

صرخ الرجل:

- فليكن أيها العربي.. أنت أردت هذا.

وضغط زناد مدفعه الآلى..

ولكنها كانت مباراة في سرعة الحركة وحسن التصرف..

لقد أدرك (باسل) أن الرجل سيضغط زناد مدفعه حتمًا،

فانتظر حتى اللحظة الأخيرة، ثم دفع (ميشيل) جانبًا، وهو

يهتف:

- ابتعد يا صديقى.

وانحنى يختطف منضدة صغيرة، قذفها في وجه الرجل،

في نفس اللحظة التى أطلق فيها رصاصات مدفعه، التى طاشت

في الهواء، قبل أن ينقض عليه (باسل)، هاتفاً:

- أخطأت يا رجل ، عندما تركت لغضبك العنان .

وكمال له لكمة كالقنبلة ، مستطرذا :

- فالغضب هو العدو الأول للعقل .

وأتبعها بثانية كالصاعقة ، مضيها :

- ولحسن التصرف والإدراك .

كانت لكمتا ( باسل ) قويتين بالفعل ، مما أفقد الرجل وعيه

وتوازنه ، فسقط منه مدفعه ، وهوى جسده متدحرجا على

درجات السلم ، حتى سقط أسفل البرج ..

وهتف ( ميشيل ) ، وقد أصابه انبهار تام :

- ( باسل ) .. أنت عظيم يا ( باسل ) .. أنت أعظم عربي

عرفته ، في حياتي ..

أجابه ( باسل ) :

- العظمة لله ( سبحانه وتعالى ) وحده يا رجل .. هيا ..

عاونى لنحكم وثاق هؤلاء الرجال .

تعاوننا على إحكام وثاق الرجال الثلاثة ، ثم قال ( ميشيل )

فى قلق :

- ولكن كيف نغادر القلعة ، ونعود إلى البلدة ، بعد أن

نسفوا سيارة الجريدة ؟

قال ( باسل ) :

- هناك وسيلة مضمونة ، لو أمكننا العثور عليها .

سأله ( ميشيل ) فى حيرة :

- ما هى بالضبط ؟

ابتسم ( باسل ) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- انتظر حتى تراها بنفسك .

تبعه ( ميشيل ) ، وهو يبحث عن تلك الوسيلة ، فى المداخل

المطلّة على ساحة القلعة ، حتى سمعه يهتف فى ارتياح :

- ها هى ذى .

ارتفع حاجبا ( ميشيل ) فى دهشة ، عندما وقع بصره على

ما يقصده ( باسل ) ..

كانت العربة السوداء ، ذات الجياد الأربعة ، تستقر داخل

حظيرة خاصة ، ولقد ربّت ( باسل ) على عنق أحد الجياد ، قائلا :

- هل رأيت حكمة الله ( سبحانه وتعالى ) يا صديقى ..

العربة التى أطلق عليها هؤلاء المجرمون اسم ( عربة الموت ) ،

ستكون هى بئذ الله وسيلتنا للنجاة .

ابتسم ( ميشيل ) فى ارتياح ، وهو يقول :

- أكاد أتخيل دهشة أهل البلدة ، عندما يروننا أمامهم ، مع

تلك العربة السوداء ، وبداخلها ذلك الذى ينتحل شخصية

الكونت ( دراكيولا ) ، موثوق اليدين والقدمين .. ستكون

مفاجأة مذهلة لهم .

قالها وانطلق يضحك بملء فيه .. لقد انزاح عن كاهله حمل

ثقيل .. بل عن كاهل بلدة بأكملها .

★ ★ ★

أعلنت أجهزة مطار ( بوخارست ) ، عن استعداد طائرة ( مصر ) للطيران للإقلاع ، فابتسم ( ميشيل ) ، وهو يصافح ( باسل ) ، قاتلاً :

- لسنا ندري كيف يمكننا أن نشكرك يا ( باسل ) .. لقد كنت رائعاً بحق .. هل تعلم أن ( ميخا ) و ( لوركا ) أدليا باعترافات تفصيلية رهيبية ، أدت إلى إلقاء القبض على شبكة كاملة لتهريب المخدرات ، كادت تفتك بشبابنا ؟

أجابته ( باسل ) بابتسامة متواضعة :

- كم يسعدني أن أسهمت في هذا .

هتف ( ميشيل ) :

- أسهمت؟! إنك صاحب النسرة كله يا رجل .

هزّ ( باسل ) كتفيه ، وقال :

- ربّما ، لقد ساعدني الله ( سبحانه وتعالى ) في هذا

الأمر .

تطلّع إليه ( ميشيل ) في إعجاب ، وقال :

- أنت متواضع للغاية يا ( باسل ) .

قال ( باسل ) في هدوء :

- بل هي حقيقة ، يؤمن بها كل مؤمن يا رجل .

تصافحا في حرارة ، وقال ( ميشيل ) وهو يودّعه :

- حاول أن تأتي لزيارتنا مرة أخرى يا ( باسل ) ..

سيسعدني أن أستقبلك دائماً هنا ، ورئيس التحرير يتمنى لو أنك كتبت القصة كلها في مقال طويل ، تنشره الصحيفة في صفحتها الأولى .

ابتسم ( باسل ) ، وقال :

- بإذن الله يا صديقي .. بإذن الله .

وعندما أقلعت الطائرة ، عائدة إلى المملكة ، ظلّ ( ميشيل ) يلوح بيده طويلاً ، حتى أدركه التعب ، وغابت الطائرة عن الأنظار ، ثم غمغم :

- إلى اللقاء يا صديقي العربي .. إلى اللقاء يا أشجع وأذكى

من رأيت .

قالها وهو يقصد كل حرف فيها .. ويدرك أن هذا الشاب قد

صنع ما عجز عنه أهل تلك البلدة في جبال ( ترانسلفانيا ) ..

لقد حطم هذا العربي أسطورة عاشت طويلاً ..

أسطورة القلعة ..

قلعة الأسرار .

★ ★ ★

( تمت بحمد الله )



## حلول اختبر معلوماتك

- |                              |                          |
|------------------------------|--------------------------|
| ١ - برتراند راسل .           | ٢ - الأرتك .             |
| ٣ - الكراوية .               | ٤ - أصل الأنواع .        |
| ٥ - سيد درويش .              | ٦ - البوتاسيوم .         |
| ٧ - جزر بهاما .              | ٨ - تشارلز ديكنز .       |
| ٩ - الزعفران .               | ١٠ - عثمان بن عفان .     |
| ١١ - كندا .                  | ١٢ - أرنولد شووارزينجر . |
| ١٣ - الحدأة .                | ١٤ - الحجر الجيري .      |
| ١٥ - الحجاج بن يوسف الثقفي . | ١٦ - سكاراموش .          |
| ١٧ - السكارين .              | ١٨ - بوريس فاليجو .      |
| ١٩ - الملوخية .              | ٢٠ - بوب كين .           |

باقة من القصص  
والروايات المصرية  
تمة في التوثيق والإشارة

١١٩٩

روايات مصرية

كوكب  
٢٠٠٠

## في هذا الكتاب

| صفحة |                                      |
|------|--------------------------------------|
| ٥    | التماس (قصة قصيرة)                   |
| ٩    | اختبر معلوماتك                       |
| ١٧   | السيف (قصة كاملة)                    |
| ٥٧   | المرأة مشكلة ... صنعها الرجل (دراسة) |
|      | <b>فأى ... سلسلة جديدة :</b>         |
| ٦٩   | عملية (الإستاذ) .. الدلقة الثانية    |
| ١١٥  | مذكرات طبيب (خواطر)                  |
|      | <b>قصة العدد :</b>                   |
| ١٣٩  | <b>(قلعة الأسرار)</b>                |
| ٢٠٤  | عزيزى القارئ (١)                     |
| ٢٢٣  | عزيزى القارئ (٢)                     |
| ٢٦٧  | حلول اختبر معلوماتك                  |



التمن في محبر ٢٠٠  
ومايعادك بالدولار الأمريكى  
شهر النشر النذل العربي والعالم